الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمّد بوضياف – المسيلة.
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.
قســـم التاريـــــخ.

الصّراع المذهبي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 3-4هـ/9-10م

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبات:
- بوســتة نسيــبة
- بحّـاش أسمــاء
- مهنّــي سميــرة

إشراف الأستاذ:
عبد الغنــي حرّوز

السنة الجامعية: 1435- 1436هـ/2014- 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

((ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولِئَكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً))

سورة الإسراء الآية ((36))

شكر وعرفان

الحمد لله المنان المتفضل علينا بسابغ النعم ،الحمدلله ملء السماوات وملء الأرض بما يسر لنا من إتمام هذه الدراسة، فالحمد لله أولا، والشكر له ثانيا والفضل له ثالثا

وبعد...

نتوجه بفيض من الشكر والعرفان المقرون بجزيل الامتنان، لأستاذنا الفاضل" **حرز عبد الغني**"

لقبوله الإشراف على هذه المذكرة، ولسعة صدره وصبره، رغم انشغاله الشديد، وعلى ما أولانا من عناية ودعم في سبيل إتمام هذا العمل

كما نتقدّم بالشّكر إلى من أضاء بعلمه عقل غيره، وهدى بالجواب الصّحيح حيرة سائليه، فأظهر بسماحته تواضع العلماء، وبرحابته سماحة العارفين، إلى المعلّم والمرشد" **مزيان وهش**"

وإلى الأساتذة الذين لم تغب لمساتهم في هذه المذكّرة: الأستاذ الدّكتور" **خير الدين شترة**" والأستاذة "**معوشي أمال**" والأستاذ "**لكحل مراد**" والأستاذ "**جمال البوص**"

والامتنان الخالص لكلّ الأساتذة الذين تتلمذنا على أيديهم، وإلى كلّ الطاقم الإداري المبدا خرجي لقسم التاريخ، خاصة فرع الوسيط

والشّكر الجزيل إلى من لم يتوانى للحظة في تقديم المساعدة لنا من نصح وإرشاد "**شيخ نور الدّين**" وصديقتنا "**لبنى فريحة**"

الباحثات

إهداء

إلى الذين:

يحملون شعلة الفكر وهاجة...ومصابيح الثقافة وضاءة...فيدبرون شعاعها ظلمة ليلنا...

ويعبدون بنورها طريق نهارنا... إلى كلّ أمين على رسالة الحق والنّور... مقتد برسول الرّحمة والخير...

إلى كلّ مربّ سائر في درب الهدى...عالما أو متعلما... أبا أو معلما...

إلى من اعزّهما الرّحمان بقوله:" وبالوالدين إحسانا "

الوالدين الكريمين

إلى من صبروا معنا وشجّعونا ...أخوتنا واخواتنا...

إلى كلّ طالب علم هدفه التّفوّق والنّجاح...

إلى شموع الامل...وقناديل المستقبل...

إلى هؤلاء جميعا ...نهدي هذا العمل...

نسيبة...أسماء....سميرة...

مقدمـــة

ظهرت مسألة الصّراع منذ القدم بين الإنسان وأخيه، من أجل بقاء سيادة أحدهما على الآخر، وقد توسّعت أطراف الصّراع وأصبحت هناك صراعات قبلية، سياسية واجتماعية، وصراعات دينيّة مذهبيّة، والذي يعنينا هنا هو الصّراع المذهبي، الذي ترجع بداياته في التاريخ الإسلامي إلى الخلافات السياسية والفكرية – الأصولية والفقهية – التي حدثت بين المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، مما أدّى إلى ظهور فرق، وطوائف وجماعات، تمذهبت بأفكار وأصول كانت تحملها، ثم تعصّبت لها وسعت جاهدة إلى نشرها والانتصار لها على أرض الواقع، فدخلت في صراع مذهبي شديد فيما بينها على مستوى الأفكار والأقوال والأفعال، فقد وصل هذا الصّراع إلى بلاد المغرب بعد أن بدأت جذوره في المشرق.

أهمّية البحث وإشكالاته:

تعتبر دراسة موضوع الصّراع المذهبي دراسة بالغة الأهمّية رغم وجود ما أُلف فيه[1] فالباحث المتصفح للإرث التّاريخي الوسيطي، يدرك مدى الحاجة إلى المزيد من القراءات العلمية الرّصينة في هذا الجانب، والتي يتخلّلها روح الإطلاع المستوحاة من المناهج والدّراسات الجديدة في ميدان البحث التاريخي، مع الحاجة في الوقت الحالي إلى الفكر الوسطي والتّعايش مع الطّرف الآخر.

وتزيد هذه الدّراسة قيمة أكثر، عندما تكشف لنا المصادر التّاريخية[2] الكثير من الحقائق التي تفسح لنا طريق البحث، للإلمام أكثر بتطور وتبيان خلفيات وتداعيات الصراع، ممّا يتيح لنا فهم أعمق للتّاريخ، وتتبّع تطوّر الأحداث، واتباع مسارها خطوة خطوة، وإيجاد تفسير لما يحول دون فهمه من ملابسات وعلل.

---

[1] عبد العزيز المجدوب: **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2008م؛ إسماعيل سامعي: **دور المذهب الحنفي في الحياة الإجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي**، دار الهدى، الجزائر، 2006م.؛ نسيم نوار:**النزاع السني الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي من قيام الدولة الفاطمية إلى القطيعة الزيرية**، رسالة ماجستير، جامعة بوزريعة، قسم التاريخ، الجزائر، 2010م.

[2] أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم، الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق: أمير علي مهنا، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1993م.؛ أبو محمد علي بن أحمد، ابن حزم الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق: محمد إبراهيم نصير، دار الجليل، ط2، بيروت، 1992 م.

فالكثير من الدّراسات الحديثة، تُقرّ بمدى أهمّيّة الجانب الدّيني العقائدي، لأنّه يمسّ بالدّرجة الأولى توجهاتنا الفكرية ومعتقدنا الإسلامي، وبالتّالي يكشف لنا الكثير من الحقائق، والآراء والمواقف التّاريخية في بلاد المشرق، حيث شهدت العديد من الأحداث والصّراعات، والمحطّات الحاسمة، التي كان لها أثر كبير في تغيير الأوضاع السّياسية منعكسة بذلك على الجانب الدّيني الذي انجرّ عنه الكثير من الانقسامات والانشقاقات في صفوف المسلمين، وبروز العديد من المذاهب والفرق، وبلاد المغرب الإسلامي لم تكن في منأى عن دخول المذاهب والفرق وما أحدثته من صراعات ونزاعات مزاحمة بذلك المذهب المالكي، كما ابتليت ببلوى الصّراع بين المنتمين للمذهب الواحد.

ولطالما شدّنا شغفنا منذ بداية دراستنا لتاريخ المذاهب والفرق الإسلامية، وما غرسهُ أساتذتنا فينا من حبّ الإطلاع، وتشجيعنا على البحث، إلى محاولة ربط الأحداث التّاريخية المتعلّقة بالصّراع المذهبي وعلى هذا جاءت دراستنا لموضوع "الصّراع المذهبي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 3-4 هـ/ 9-10م"،

ومن هنا تكمن أهمّية هذه الدّراسة، فعلينا أن نوليها ما تستحقّ من الإهتمام ونوفيها حقّها من البحث والتّدبر، لأن هذا الموضوع يمثل جانبا كبيرا من تاريخنا الإسلامي خاصة في بلاد المغرب، والذي خلّف آثارا كبيرة في الماضي ومازالت آثاره ممتدّة إلى اليوم على مستوى الأفراد والجماعات الإسلاميّة.

ولأجل الوقوف على ذلك تبلورت لنا إشكالية الموضوع والتي نصوغها كالتّالي:

- ما هي حيثيات وتداعيات الصراع المذهبي في بلاد المغرب الإسلامي؟ أكان صراعا عقديّا بحتا أم صراعا مدفوعا بتضارب المصالح السياسية والرّغبة في الحكم؟
- وفي خضمّ هذا البحث اصطدمنا بتساؤلات أخرى تمثّلت في ما يلي:
- كيف كانت البداية الأولى للصّراع المذهبي ؟
- ما هي أبرز المذاهب والفرق التي احتدم بينها الصّراع المذهبي في المغرب الإسلامي؟
- ما هي أسباب ومظاهر الصّراع المذهبي في بلاد المغرب الإسلامي؟
- ما موقف علماء أهل السّنة من الانحرافات العقديّة التي شهدتها بلاد المغرب؟

- ما هي التّحديات التي واجهها فقهاء وعلماء المالكية من أجل تثبيت أركان مذهبهم خلال القرن الرابع هجري؟ .
- ما هي آثار وانعكاسات الصّراع المذهبي على المجتمع المغربي؟

أسباب اختيار الموضوع :

ومن هذا المنطلق ارتأينا الخوض في غمار هذا الموضوع لعدّة اعتبارات :

أوّلا: أهمّية القرنين (3-4هـ) حيث تعتبر هذه الفترة من أكثر الفترات التي اشتدّ فيها الصّراع المذهبي على أرض بلاد المغرب الإسلامي.

ثانيا: رغبتنا الشّديدة في كشف ما عانته بلاد المغرب الإسلامي من صراع مذهبي، وليس خلافا عقديا فحسب، بل شهدت ألوانا من الحروب والتّنكيل والاضطهادات.

ثالثا: إيجاد تفسيرات تاريخية لتلك الصّراعات والنّزاعات التي حدثت على أرض المغرب الإسلامي.

رابعا: محاولة الإسهام في قضايا الصّراع المذهبي وإماطة اللّثام عن الكثير من الحقائق التّاريخية المسكوت عنها في المواضيع والأبحاث المدروسة.

منهج البحث :

واقتضت الإجابة عن الإشكالية المطروحة الاعتماد على المنهج التاريخي واستقصاء المادة العلمية من المصادر والمراجع، بالرّجوع إلى الأصول – أمّهات الكتب– فقد حرصنا على توثيقها مراعاة للأمانة العلميّة، مستخدمين في ذلك مناهج مساعدة من وصف، وتحليل، واستخراج النتائج، ثم معالجة الاستنتاجات في مختلف الموضوعات، ولم يخلُ هذا البحث من الآراء ووجهات النظر بغرض إبراز قضايا وآليات الصّراع المذهبي في بلاد المغرب، فالمنهج الوصفي تخلّل الفصلين الأول والثاني من حيث وصف أحداث الصّراع والثّورات والمعارك، والمنهج التحليلي، باعتباره المنهج الذي يعتمد على رصد الأحداث التاريخية، وتحليلها تحليلا موضوعيا، وبالتالي الخروج بنتائج يمكننا من خلالها إلقاء الضّوء على ما يميز مرحلة الدّراسة.

خطة البحث :

وقد قسّمنا بحثنا إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أما **المقدّمة** فتضمّنت تحديد عنوان البحث مع الإطار الزماني والمكاني، ثم أهمية الموضوع وإشكاليته ودوافع اختياره،

بالإضافة إلى المنهج المتّبع، والبنود العريضة للموضوع، والصّعوبات التي واجهتنا، منتهين بتحليل مختصر لأهمّ المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

الفصل التمهيدي: وعنوانه. "**الصراع المذهبي وبدايات ظهوره في التاريخ الإسلامي**"حيث تناولنا فيه أهم التّعريفات التي كان من الضّروري إدراجها في البحث، ليهيّء ذهن القارئ لمعرفة الموضوع، من بينها، تعريف التّعصّب، والمذهب، والصّراع، ثمّ مهّدنا إلى الجذور الأولى لظهور الصّراع في بلاد المشرق وكيف انتشرت المذاهب والفرق في بلاد المغرب الإسلامي. **والفصل الأول:** وعنوانه" **صراع الإباضيّة ضدّ مخالفيهم في المذهب**"، بما أنّ الخوارج كانوا أوّل الفرق المنتشرة في بلاد المغرب الإسلامي ارتأينا أن تكون الأسبقيّة لفصل صراع الإباضيّة ضدّ المذاهب والفرق الأخرى، حيث عالجنا فيه أسباب ومظاهر صراعهم مع أهل السّنّة، ثمّ مع الشّيعة، وموقف أهل السّنّة من الإباضيّة.

أما الفصل الثاني وعنوانه" **صراع المالكيّة ضدّ مخالفيهم في المذهب**" حيث عالجنا فيه ثلاثة عناصر، فكانت بداية صراعهم مع الأحناف، بيّنّا فيه الأسباب والمظاهر الفكريّة والسّياسيّة مبرزين بذلك نماذج من الجدل والمناظرات، ثمّ صراعهم مع الشّيعة حيث أدرجنا فيه أوجه الصّراع التي كانت بينهم، وأخيرا حسم الصّراع وتجديد المذهب المالكي الذي أردنا من خلاله مقاربة طبيعة وإسهامات العلماء والفقهاء في ترسيخ هذا المذهب.

صعوبات البحث :

وقد واجهتنا ونحن نقوم بهذا البحث عدّة مصاعب أهمها:

- تشتت المادّة العلميّة بين كتب الفقه وكتب التاريخ وكتب الملل والنِّحل، خاصّة وأن الموضوع يشمل الجانب العقدي والتّاريخي معًا.
- صعوبة استنطاق النصوص التّاريخية لانتقاء كلّ حقيقة تاريخية مناسبة لطبيعة الدّراسة.
- ضيق الوقت لأنّ طبيعة الموضوع في حدّ ذاته، يتطلّب القراءة المتأنيّة والتّمعن الطّويل في النّصوص التاريخيّة.

عرض وتحليل المصادر والمراجع :

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على أنواع عديدة من المصادر والمراجع، كتب الفقه، وكتب الملل والنّحل، والموسوعات التاريخية، وكتب التراجم والطبقات، سنعرض أهمّيتها فيما يلي:

أوّلا- عرض المصادر :

1- **كتب التاريخ :** كتاب" **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"،لابن خلدون (ت 808هـ/1405م)، والذي يعد مصدرا هامّا لا غنى عنه لكل باحث في تاريخ المغرب حتى القرن 08هـ/14م ،حيث يعدّ ابن خلدون الخبير بتتبع سير حركة القبائل البربرية وحركاتها السّياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية، لذلك تعد معلوماته التاريخية عن قبائل صنهاجة قيمة لا نكاد نعثر على نظير لها، وكتاب " **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** " **لابن عذارى المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد (ت 712هـ/1312م)** خاصة الجزء الأول، حيث يعد كتابه من المصادر الأساسية التي اعتمدنا عليها، فهو يتناول تاريخ المغرب منذ الفتح الإسلامي و حتى سقوط الدولة المرابطية، وكتاب " **الكامل في التاريخ** "عز الدين ابن الأثير(ت 630هـ/1230م) الذي حوى الكثير من المعلومات الدّقيقة عن الفترة المدروسة خاصة الجانب السياسي لبلاد المغرب.

2- **كتب الفقه والفتاوى:** يعتبر كتاب **التّمهيد في الموطأ في المعاني والأسانيد لأبي** عبد البر الأندلسي (ت 463 هـ/ 1071م) من المصنفات التي ساعدتنا في شرح الكثير من المصطلحات المذهبية والتعريف بأهم أصول المالكية، وتتجلّى أهمّية كتاب "**المعيار للونشريسي** "**(544هـ /1508م)** في أنّه من أبرز الموضوعات الفقهيّة التي دونت الاجتهادات المالكية لكثير من المسائل والمستجدات حيث اعتمدنا عليه في تتبع ورصد فتاوى فقهاء وعلماء المالكية.

3- **كتب الملل والنّحل:** يعد كتاب"**الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي** "(ت456هـ_1064) من أهم المصادر، فقد قدم لنا تغطية شاملة لكل الفرق والمذاهب الإسلاميّة، وفق منهج نقدي ووضوح في الرؤية، كما أنه ساعدنا في رسم تصورٍ معلميٍّ للخريطة المذهبية لبلاد المغرب.

وأمّا كتاب "**الملل والنّحل لأبي الفتح الشهرستاني** "(ت548هـ_11453م) فيعتبر مصدرًا أساسيًا في تاريخ الفرق الكلامية وقد اعتمد الشهرستاني في كتابه على منهج التحليل.

4- كتب التراجم والطبقات: كتاب "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** "للقاضي عياض (ت 544 هـ_1149م) هو من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في جمع كل ما يتعلق باالتراجم المالكية ببلاد المشرق والمغرب، أما كتاب "**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**" للدباغ أبي زيد عبد الرحمان ابن محمد الأنصاري(ت 696 هـ_1300م)، فقد أكمله أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت839هـ/1435م)، وهو من أشمل كتب الطبقات والتراجم لما جاء فيه من التفضيل لجميع مرويات ما سبق، فيعتبر بذلك مصدرا وثيقا في الحياة الفكريّة والثقافية بالقيروان واستفدنا منه كثيرا حول قضايا الصّراع المالكي الحنفي خاصة في الجزء الثاني من الكتاب، كتاب "**طبقات علماء إفريقيا**" للخشني (ت361هـ/972م) فالكتاب يحتوي على معلومات قيمة عن دور فقهاء المالكية في الدفاع عن مذهبهم، فقد أورد الخشني بابًا حول الجدل والمناظرات التي دارت بين السنة والشيعة.

5-كتب الجغرافيا: كتاب" معجم البلدان " لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي(ت626هـ/1228م) يقع كتابه في سبعة أجزاء، وهو معجم جغرافي وكتاب تاريخ وأدب، شمل كل أنحاء العالم الإسلامي، وقد سار في ترتيبه على حروف المعجم وقد أفادنا كثيرا أثناء التعريف ببعض المفاهيم و المناطق والقبائل، و**كتاب** "**صورة الارض لابن حوقل (ت367هـ/977م)** هو جغرافي كانت له معرفة جيدة بمناطق بلاد المغرب فقدم لنا الكثير من الأوصاف الدقيقة والمفصلة خاصة عن المدن، فقد عايش تلك الصراعات التي أنمّت في قيام العديد من الدويلات.

ثانيا- عرض المراجع: كتاب "**الصّراع المذهبي بإفريقيّة.**" لعبد العزيز المجدوب يعد من أهمّ المراجع التي تحدثت عن قضايا الصراع المذهبي، وبالتالي أردنا الاستفادة منه في التّعرّف على مظاهر الصّراع التي حدثت بين مختلف المذاهب والفرق في افريقيّة، وكتاب "**أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في محاربة الانحرافات العقدية**" **لإبراهيم علي التهامي،** فهو في الأصل عبارة عن رسالة الدكتوراه قيمة فقد

أعطى لنا صورة واضحة حول البدع والانحرافات العقديّة وعن الدّور الذي قام به علماء الغرب في التّصدي لها، ومذكرة "**النزاع السني الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي**" لنسيم نوار فهذه المذكرة هي رسالة ماجستير مهمة لما احتوته من معلومات تاريخية حول الأحداث التي كانت قائمة بين السّنة والشّيعة وعوامل تجدّد المذهب المالكي على أرض المغرب، و**كتاب**" **الرّسالة مختصر الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني القرن 4هـ/10م وافتتاح المدرسة المالكيّة المغربيّة المتجدّدة**" **للأستاذ مزيان وشّن،** فهذا الكتاب عبارة عن دراسة تحليليّة للرّسالة المالكيّة فهي تمثّل وثيقة مختصرة للمذهب المالكي التي تمثّل أوّل منشور رسمي بنيت عليه مدرسة الإمام العالم ابن أبي زيد القيرواني المالكيّة المغربيّة، وقد أفادتنا هذه الدّراسة في بيان دور العلماء المغاربة في انشائها.

وفي الختام نحمد الله على توفيقه وعونه لنا، ونشكره سبحانه وتعالى فهو الأحق بالشّكر والثّناء، ونتوجه بالشّكر الجزيل لأستاذنا الفاضل حروز عبد الغني. الذي تشرفنا بأن يكون لنا مشرفا على رسالة تخرجنا، فلم يتوان للحظة في نصحنا وإرشادنا لكلّ ما هو صائب وسديد، فنسأل الله أن يبارك في علمه وأن يجازيه عنَّا خير الجزاء.

الفصل التمهيدي: الصّراع المذهبي وبدايات ظهوره في التاريخ الإسلامي

أولا- تعريف الصّراع المذهبي

1- تعريف التعصّب.

2- تعريف الصراع.

3- تعريف المذهب.

ثانيا- الجذور الأولى للصّراع المذهبي في المشرق.

ثالثا- انتشار المذاهب والفرق في بلاد المغرب.

1- أهل السنة والجماعة.

2- الخوارج.

3- الشّيعة.

أوّلا- تعريف الصّراع المذهبي:

قبل الولوج في معنى الصّراع المذهبي بمعناه الدّقيق، كان من الجدير أن نتطرّق إلى نقطة مهمة وهي التّعريف بالتّعصّب، هذا الأخير الذي كان بمثابة البداية الأولى التي أشعلت نار الفتنة في تاريخنا الإسلامي.

1- تعريف التّعصّب:

يرى ابن منظور أنّ معنى التّعصّب:" من العصبية، والعصبيّةُ أن يدعو الرّجل إلى نصرة عصبته والتّألُّبِ معهم على من يناويهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقد تعصَّبوا عليهم إذ اجتمعوا، فإذا تجمّعوا على فريق آخر قيل تعصّبوا ".[1]

يرى اللاّلكائي أيضًا في رواية عن حديث زكرياء بن يحيى بن صبح بن عمر بن حصين بن حميد بن مذهب قال:" سمعت أبا بكر بن عيّاش قال له رجل: يا أبا بكر: من السّني؟ قال الذي إذا ذُكرت الأهواءُ لم يتعصّب لشيء منها ".[2] بمعنى أنّ التّعصّب هو التّجمع على شيء لأجل نصرته،[3] فهناك تعصّب محمود وهو الذي يكون لنصرة الحق، أمّا التعصّب المذموم هو التّعصّب على الظّلم والبدعة، أو على أمر شرعي مختلف فيه يؤدّي إلى الافتراق والعداوة، كما وقع فيه بعض أتباع المذاهب والجماعات.

وَيرى ابن عبد البرّ، عندما ناقش بعض المسائل الفقهية المتعلّقة بجمع الصّلاة بعرفة الظّهر والعصر في أوّل وقت الظّهر قال:" وهو صحيح لمن ألهم وشدّه، ولم تملّ به العصبيّة إلى المعاندة".[4] بمعنى أنّ العصبيّة تؤدّي إلى الميل والعناد وعدم الاعتراف بالحق.

ومن خلال هذه الدّلائل التّاريخية، التي استندنا عليها في معنى التَّعصّب، كانت بمثابة الأرضيّة التي أدّت بنا للوصول إلى تعريف شامل له، فهو مأخوذ من كلمة العصبيّة، التي تدعو إلى مناصرة فئة أو جماعة ما بحكم الدّين، فهو محاولة الانتصار والدّفاع والمحاماة لأصحاب الرّأي الواحد مهما كانوا على حق أو باطل.

---

(1)- **لسان العرب** ، ج1، دار صادر ، بيروت ، (د .ت)، ص 606.

(2)- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، ج6، دار البصيرة، الإسكندرية، (د.ت)، ص 67.

(3)- خالد كبير علاّل : **التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي (مظاهره ، أثاره ، أسبابه ، علاجه)** ، مؤسسة كنوز الجزائر ، 2009، ص11.

(4)- **التّمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد**، ج12، تحقيق: سعيد محمد أعراب، (د.ت) ، (د.م) ، ص 20.

وقد وردت كلمة التّعصّب في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾،[1] فمن خلال هذه الآية الكريمة يتبيّن لنا أنّ التّعصب هو شعور داخلي يجعل الإنسان يتشدّد في رأيه، ويرى نفسه دائما على حق والآخر على باطل، بلا حجة ولا برهان.

يتبادر للمتمعّن في لفظي الصّراع والمذهب أنّهما مصطلحان متباينان مختلفان، لكنّ هذا من الجانب اللّغوي والاصطلاحي فقط، في حين أنّ لفظ – الصّراع المذهبي– من الجانب التّاريخي كان لهما اندماج أصيل غيّر مجرى الأحداث التاريخيّة في تاريخنا الإسلامي وهذا ما سنلمحه فيما هو آت.

2– تعريف الصّراع :

ورد تعريف الصِّراع عند الجوهري أنَّه:" كلمة مأخوذة من لفظ صَرَعَ، صَارَعتُهُ فصَرعتُه صَرعاً وصِرْعاً، الفتح لتميم، والكسر لقيس عن يعقوب، والمَصرَع مكان ومصدر، حيث قال الشّاعر برّ الحارثي:

بمصرعنا النَّعمان يوم تألّبت ..... علينا تميم من شظى و صميم ".[2]

ويعرفه أبا بكر الرَّازي: "صَرَعَ (صَارعه فصَرَعْتُهُ) من باب قطع لغة تميم وفي لغة قيس صرع بالكسر ".[3]

ومن هنا يمكن إدراج تعريف شامل للصّراع، فهو ناتج عن تعصّب جماعات وفئات ذات رأي واحد، فأدّى هذا التعصّب إلى نشوء خلاف، وهذا الأخير بدوره أدّى إلى صراع، ويمكن أن نقول: أنّ الصّراع هو نزاع وعراك بين فئتين أو طائفتين تختلفان في الرأي

---

[1]- **سورة يوسف**، الآية 08.

[2]- **الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية** ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1990، ص1242.

[3]- **مختار الصّحاح** ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار الهدى ، الجزائر ، 1990 ، ص235.

سواء من الجانب السّياسي أو الاجتماعي أو الدّيني. قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [1]

3- تعريف المذهب:

ورد معْنى المذهب في قاموس الطّلاّب بأنّه: هو المعتقد الذي يذهب إليه- الطّريقة- حيث قال أبو فراس :

ومن مذهبي حب الدّيار لأهلها ... و للنّاس فيما يعشقون مذاهب

والأصل هو مجموعة من الآراء والنّظريّات والجمع مذاهب، هذه المذاهب أسباب لجذب الدنيا إلى الرؤساء [2]، ويعرّفه ابن عثيمين: بأنّه، القول الذي يُقتدى به بعده، أو الذي يختاره أو يرجحه، ويسمّى مذهبا له أي مسلكا سلكه، وقولا يرجحه على غيره بدليل اقتران به.

أمّا المذاهب فيُراد بها الأقوال التي تُنسب إلى أربابها، ويطلق المذهب على كلّ قول قاله إمام مجتهد، مات وهو مجتهد ومتمسّك به سواء اقتدي به أو لم يقتد به[3]، ومن خلال هذين الرّأيين نجد أنّ المذهب، هو وجهة نظر علميّة ذات مرجعيّة دينيّة، ويمثّل المذهب جماعة من المسلمين يعتقدون بمذهب معيّن، والتّمذهب فكرة لا تقتصر على المسلمين ولا على اليهود فقط، بل هو فكرة إنسانيّة عالميّة عند الشّعوب، لأنّ عقل الإنسان يفكّر وله آراء ووجهات نظر.

من خلال ما تقدم آنفا عن تعريف الصّراع والمذهب، يَتبيّن لنا أنَّ الصّراع المذهبي هو نزاع وتزاحم بين طائفتين مختلفتين في التّوجّه الدّيني، بين مذاهب الدّين الواحد، وهو موقف تجلّت مظاهره في مختلف جوانب الحياة عند المسلمين خلال العصر الإسلامي على مستوى المذاهب والطّوائف [4].

---

[1]- **سورة الحاقة**، الآية 7.

[2]- علي بن هداية وآخرون : **القاموس الجديد للطلاب**، تقديم : محمود السعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر ، 1991، ص1040.

[3] - **عقيدة أهل السنة والجماعة**، مؤسسة الشيخ بن صالح العثيمين الخيرية، ط2، الرياض، 1929 ، ص20.

[4]- خالد علال كبير : المرجع السابق ، ص12.

ثانيا- الجذور الأولى للصّراع المذهبي في المشرق:

سار المسلمون على نهج الرّسول صلّى الله عليه وسلم، وكانوا يقتفون أثره في الأقوال والأفعال، فكانت الأمّة لحمة واحدة تحكمها كلمة التّوحيد، ولكن بعد وفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلم دخل الكلّ في حيرة من أمرهم حول تعيين الخليفة، فمن سيحمل لواء ونهج الرّسول صلى الله عليه وسلم في تسيير شؤون هذه الأمة ؟

اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة لتعيين الخليفة، وهنا بدأت الاحتدامات والمجادلات بين كلٍّ من المهاجرين والأنصار، خصوصا أنّ المهاجرين يرون أنّهم الأحق بالخلافة نظرا لمكانتهم في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، ولمّا كاد الأنصار يعيّنون سعد ابن عبادة[1] خليفة للرّسول بلغ الخبر أبا بكر الصّديق[2]رضي الله عنه، فأتاهم ومعهم عمر ابن الخطّاب[3]رضي الله عنه، وعبيدة ابن الجراح[4]، فقال: "ما هذا فقالوا: مِنّا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء"[5]، وفي هذه الأثناء قام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بمبايعة أبي بكر الصّديق، وبايعه النّاس في المسجد إلا فئة قليلة منهم أمّا علي رضي الله عنه[6]، فتأخّر عن مبايعته بسبب انشغاله بدفن الرّسول، وهناك مجموعة من النّاس لم تبايع أبا بكر الصّديق، وهذه الفئة هي التي

---

(1)- هو سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة بن أبي حزيمة، وقيل حارثة بن حزام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الانصاري الساعدي، كان نقيب بني ساعدة وكان حينها في الأنصار وهو صاحب راية الانصار في المشاهد كلها (ت15هـ). أنظر: أبي الحسن على بن محمد ، ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج2، دار الكتب العلمية، (د.م)، (د.ت)، ص203.

(2)- الخليفة عبد الله بن عثمان التميمي القرشي، هو أوّل الخلفاء الرّاشدين وأحد العشرة المبشَّرين بالجنة ،وهو وزير النّبي صلى الله عليه وسلّم ورفيقه عند هجرته إلى المدينة المنوّرة، توفّي سنة 13هـ. أنظر: ابن الأثير: المصدر السابق ، ج3، ص310.

(3)- هو عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عدي بن كعب القرشي، أسلم بعد أربعين رجلا وإحدا عشر امراة، كان شديدا على المسلمين وزاهدا متواضعا وهو ثاني الخلفاء الراشدين قتل سنة 23هـ. انظر : ابن الاثير، المصدر السابق، ج3، ص642.

(4)- هو ابو عبيدة ابن الجراح عامر بن عبد الله بن الجراح بن كنانة بن عدنان القرشي المكي، شهد له النبي صل الله عليه وسلم بالجنة وسماه امين الأمة، قتل يوم الجمل .انظر :شمس الدين احمد بن عثمان، الذهبي : **التهذيب لسير اعلام النبلاء** ، ج1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، 1991، ص13.

(5)- ابن جرير أبي جعفر، الطبري: **صحيح وضعيف الطبري**، ج8 ، تحقيق محمد بن طاهر البرزجي، دار ابن الكثير، بيروت ، 2007، ص15.

(6)- هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي،.ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أول الناس إسلاما (ت 40هـ) في رمضان. أنظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج3، ص588.

ستفترق عن مبادئ الدّين والعقيدة.[1]

تجاوز المسلمون هذا الخلاف السّياسي، وبقوا مجتمعا واحدا متماسكا، إذ الخلاف لم يؤدّ حينها لأيّ شقاق، أو نزاع، ولا تفرّق، ولم تظهر أيّة أحزاب، بل بقي المسلمون أمّة واحدة.[2]

ولكنّ رغم تجاوز هذا الخلاف عمليا إلا أنّه بقي في الأذهان والعقول، فكما تدّعيه بعض الأحاديث الشّيعيّة أنّه بقي في صدر آل البيت حرقة وامتعاض، ونذكر من بينها مارواه الشّريف الرّضي في نهج البلاغة، من قول علي لما زعموا على بيعة عثمان بن عفان حيث قال:" لقد علمتم أني أحقّ النّاس بها من غيري، والله لا أسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جورا إلا علي خاصة التماسا لأجر ذلك وفضله وزهده فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه "[3]

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ المتمعّن في هذا الحديث يجد أنّه كلام مغلوط وهذا استنادا لآراء أهل السّنة وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيميّة، والذّهبي بعدم صحّة نسب هذا الحديث لعليّ بن أبي طالب، وذلك استنادا لحجج وبراهين، أهمّها عدم وجود سند لهذا الحديث المروي عن علي رضي الله عنه، حيث أنّ مؤلّف كتاب نهج البلاغة هو محمّد بن الحسين بن موسى، الذي تلقّبه الطّائفة الإثناعشرية بالشّريف الرّضي، والذي كان موجودا بعد علي بما يقارب من أربعمائة عام.[4]

وكما يرى أهل السّنة أنه يوجد في كلام البيان والتّبيين، أنّ هذا الحديث قد أُسقط أصلا من ناحية الإسناد،[5] فهم يرون أنّ هذا الكتاب مكذوب على الإمام علي، لأنّ فيه السّب

---

(1)- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الشهرستاني : **الملل والنحل** ، ج1، تحقيق: أمير علي مهنا، دارا لمعرفة ، بيروت، 1993، ص22.

(2)- سعد رستم : **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات ، النشأة ، التاريخ ، العقيدة ، التوزيع الجغرافي**، الأوائل للنشر والتوزيع للخدمات الطباعية، ط3، (د،م)، 2004 ،ص.ص25.-26.

(3)- الشريف الرضي: **نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب**، تحقيق: صبحي الصيالح، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص102.

(4)- أبو العباس تقي الدين، ابن تيمية: **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، ج7، تحقيق: محمد رشاد سالم، (د.ن)، (د.م)، 1996 ،ص96.

(5)- نفسه: ج8، ص.ص55.56.

الصّريح والشّتم لعلي رضي الله عنه[1].

بعد تولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة، عيّن بعده مباشرة عمر بن الخطاب، ثمّ تولّى عثمان ابن عفان رضي الله عنه[2]، هذا الأخير الذي كان معروفا بالحياء، فتماشيا مع الظّروف السياسيّة، كان يمنح بعضا من مناصب الدّولة لبني أميّة هذا ما أثار حفيظة بعض المسلمين، فلم تخمد نار الفتنة في نفوسهم بعد، فتمّ اغتياله سنة (35هـ /255م).

وحين تولى علي رضي الله عنه الخلافة، كان على علم بهذا الحدث فأراد عزل معاوية ابن أبي سفيان[3]–حاكم الشام– لكن هذا الأخير رفض فجرت بينهما حروب، منها معركة صفين،[4] التي نتج عنها في الأخير حزب الخوارج.[5]

وقد شقّ الخوارج عصى الطّاعة في وجه علي ومعاوية عند التّحكيم، واعتصموا بأن – لاحكم إلا لله –، فحاربهم علي بعد أن يئس من رجوعهم إلى الهدى، وهزمهم في موقعة شهيرة هي موقعة النهروان،[6] وقتل منهم كثيرا فزادتهم هذه الهزيمة حقدا على علي حتى دُبرت مكيدة لقتله، واستعانوا في ذلك بعبد الله بن ملجم سنة(40هـ/661م)، هاته السّنة التي تعتبر سنة معلميّة غيّرت مجرى التّاريخ الإسلامي، وتفرّعت منها كلّ المذاهب والفرق(أهل السّنة، الخوارج، الشّيعة)، والتي مازالت إلى يومنا هذا.[7]

---

(1)- أبو عبد الله شمس الدين، الذّهبي: **ميزان الإعتدال في نقد الرجال**، ج3، تحيق: محمد بركات، دار الرسالة العلمية، (د.م)، 2009، ص124.

(2)- عثمان بن عفان رضي الله عنه الأموي القرشي، ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، من السباقين للإسلام يكنى بذو النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات الرسول صلى اله عليه وسلم توفي سنة35هـ وعمره 82سنة دفن بالبقيع بالمدينة المنورة. أنظر: أبي جعفرمحمد بن جرير ، الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ص.688.

(3) - معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام واحد كتاب الوحي،سادس الخلفاء في الإسلام ومؤسس الدولة الاموية، توفي سنة60هـ. أنظر: ابن الأثير.المصدر السابق، ج7، ص281.

(4)- هي معركة وقعتبين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان سنة (35هـ/658م) بعد موقعة الجمل بسنة تقريبا وعندما استلم علي الحكم امتنع معاوية وأهل الشام عن مبايعته فأصر عليا الامر بعزله (أي معاوية) وجرت لمدة تسعة أيام.انظر: الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج3، ص71.

(5)- من الأحزاب التي خرجت عن الأمويين وكانوا من أشياع علي رضي الله عنه ثم خرجوا عليه،وسنتطرق إلى التّعريف بالخوارج في المبحث القادم. أنظر: حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي، الديني، الثقافي، الإجتماعي**، ج2، دار الجليل، القاهرة،1957 ، ص8.

(6)- هي إحدى المعرك الإسلامية وقعت سنة (35هـ/959م) بين علي رضي الله عنه والخوارج، والنهروان انتهت هذه المعركة بانتصار علي ولم ينجوا من الخوارج إلا اربعين شخصا. أنظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص81.

(7)- عبد العزيز المجدوب: **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2008، ص32.

ثالثا- انتشار المذاهب والفرق في المغرب الإسلامي:

لقد كانت بلاد المغرب أرضا خصبة لكثير من الفرق التي مثّلت كل واحدة منها دعوى مذهبيّة معينة، وللتّعرف أكثر على المذاهب التي كانت سائدة آنذاك، كان من الضّروري التّعريف بهذه المذاهب.

1- أهل السّنة والجماعة :

هم الذين أخبر عنهم الرّسول بأنّهم سيسيرون على طريقته وأصحابه الكرام دون انحراف، متّبعين الكتاب والسنة[1]، كما قال الرّسول عليه الصلاة والسلام:" ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة النّاجية منها واحدة والباقون هلكى قيل : ومن النّاجية؟ قال: أهل السّنة والجماعة قيل: ما السّنة والجماعة؟ قال:" ما أنا عليه وأصحابي" .[2]

وقد سمّوا أهل السّنة لاستمساكهم واتبّاعهم لسنّة النّبي صلى الله عليه وسلم، وسمّوا بالجماعة لقوله صلّى الله عليه وسلم في إحدى روايات الحديث السّابق، أنّهم جماعة الإسلام، الذين اجتمعوا على الحقّ، ولم يفترقوا في الدّين واتبعوا منهج أئمّة الحقّ وأهل الأثر،[3] قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلاً﴾[4].

إنّ أهل السّنة هم أهل الحق، إنهم الصّحابة رضوان الله عنهم وكلّ من سلك نهجهم من خيار التّابعين رحمهم الله تعالى، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها[5]؛ وقد ورد في ترتيب المدارك، أنّ رجلا سأل مالكا فقال:" من أهل السّنة يا أبا عبد الله؟ قال: الذين ليس لهم يعرفون به الأجهمي ولا رافضي ولا قدري"[6].

---

(1)- أبو المنصور عبد القاهر، البغدادي: **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، (د.ت)، ص26.

(2)- محمد عيسى بن سورة بن موسى، الترمذي: **سنن الترمذي**، ج5، تحقيق:.أحمد محمد شاكر، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ،رقم الحديث 2640، شركة مطبعة المصطفى، 1975، ص25.

(3)- مزيان وشن: **الرّسالة مختصر الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني 4هـ/10م**، دار النشر جيطلي، برج بوعريريج، الجزائر، 2009، ص14.

(4) - **سورة الإسراء**، الاية77.

(5)- أبو محمد بن علي ،ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنّحل**، ج2، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، ط2، دار الجليل، بيروت، 1996، ص217.

(6)- أبو الفضل بن موسى، القاضي العياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أصحاب الإمام مالك**، ج2، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي واخرون، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983، ص38.

1.1- المذهب المالكي :

إن امتلاك المذهب المالكي[1] لمجموعة من المقومات، وتحلّيه بجملة من الخصائص والمميّزات، سمحت له أن يتبوّأ المكانة الرّفيعة بين المذاهب الفقهيّة المنتشرة ببلاد المغرب، فهو مذهب يعتمد على كتاب الله وسنة النّبي عليه الصّلاة والسّلام، ويراعي الأصول والقواعد المرتبطة بمقاصد الشّريعة، إضافة إلى تميّزه بالمرونة في المسائل الفقهية ومسايرة قضايا المجتمع المغربي، التي بنى عليها الإمام مالك ابن انس ضمن نطاق النّشأة المشرقيّة، فكيف تمّ ترسيخ هذا المذهب من قبل فقهاء المذهب المالكي في البيئة الغربيّة؟

كانت طريقة الإمام مالك بن أنس أن يقدّم القرآن قبل كل شيء، ويستعين في فهمه بالحديث والسّنة، وكان يدقّق في الرّواية والحديث حتّى لا يختلط الصّحيح بغير الصّحيح، فكان كثيرا ما يردد البيت التالي:

وخير أمور الدّين ما كان سنة ..... وشر الأمور المحدثات البدائع[2]

لقد جاء الفاتحون الأوائل بالإسلام النّقي- الكتاب والسنة – لذا هناك نوع من التّكامل والتّناغم بين المذهب المالكي وبين ما جاء به الفاتحون الأوائل؛ أي أنّ المغاربة تعوّدوا على أحكام مستمدة من الكتاب والسّنة منذ الفتح الإسلامي، ولقد ترسّخ هذا المذهب مع مجموعة من الفقهاء المالكيين أمثال عليّ بن زياد[3] والبهلول بن راشد[4] وعبد الله بن فروخ[5] حيث يقول القاضي عياض:

---

[1]- نسبة إلى مؤسسه مالك بن انس بن عامر الأصبحي التميمي صاهر بني تميم ولد سنة 93هـ شمال في بيت المدينة المنورة ونشأ في بيت علم.فقد حفظ القران والحديث النبوي وهو لا يزال صغير السن. أنظر: سعد رستم: المرجع السابق، ص154.

[2]- نسيم نوار: **النزاع السني الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي من قيام الدولة الفاطمية إلى القطيعة الزيرية (296-443هـ/909-1051م)**، رسالة ماجستير، جامعة بوزريعة، قسم التاريخ، الجزائر، 2010-2011، ص86.

[3]- هو أبو الحيسن علي بن زياد من أهل تونس كان ثقة مامونا فقيها بارعا في الفقه سمع من مالك بن انس ولم يكن في عصره مثله ،سمع عنه بهلول بن راشد وأسد بن الفرات. أنظر: محمد بن أحمد بن تميم ، أبو العرب: **طبقات علماء تونس**، دار الكتاب البياني، بيروت، (د.ت)، ص251.

[4]- أبو عمرو بهلول بن راشد كان ثقة مجتهدا ورعا لا يشكّ في أنّه مستجاب الدّعوة وكان عنده علم كثير سمع عن مالك بن انس وسفيان الثوري.أنظر:محمّد بن الحارث، الخشني: **طبقات علماءإفريقية**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب،مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993 ،ص81.

[5]- أبو محمد عبد الله بن فرّوخ الفارسي كان فاضلا صالحا متواضعا في نفسه ،قليل الهيبة للملوك في حقّه يقال لا يخاف في الله لومة لائم.مباينا لأهل البدع ومعاديا لهم حافظ للحديث والفقه.رحل إلى المشرق وسمع عن جماعة من =

"وأمّا إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، إلى أن دخل علي بن زياد والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن فرات وغيرهم بمذهب مالك، فأخذ به الكثير من النّاس، ولم يزل يغشوا إلى أن جاء سحنون فغلب في أيّامه وفضّ حلق المخالفين، واستقرّ المذهب بعد في أصحابة فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا"[1]، وقد انتشر المذهب المالكي في بلاد المغرب تدريجيّا عن طريق تدريس موطّأ الإمام مالك.

2.1- المذهب الحنفي :

إن الدّراسات الفلسفيّة والشرقية والإغريقية التي كانت سائدة في ظل الدولة العباسية، كانت بمثابة الأرضية التي أسّست لنشوء مذهب يعتمد على النّظر والعقل، وافتراض صور الأحكام قبل وقوعها.

فهذا المذهب ينتسب إلى صاحبه الإمام أبي حنيفة النعمان ابن ثابت (80-150هـ/698-700م) وهو من أسرة فارسية الأصل، استوطنت الكوفة حيث ولد بها وتلقى مبادئ العلوم، ودرس الكثير من الفلسفات ثم تخصّص في الدّين الإسلامي[2] فأصحاب هذا المذهب يستعدّون للبلاء قبل نزوله، أي أنّهم يستشرفون الأحداث، ويركنون إلى افتراض صور الأحكام قبل وقوعها، ولهذا يطلق عليه مذهب الاستنباط العقلي[3].

إنّ المذهب الحنفي كانت نشأته مشرقية في ظلّ الدولة العباسية فكيف تسربت أحكامه إلى بلاد المغرب؟.

إنّ أوّل من ركّز قواعد هذا المذهب بالمغرب هو ابن فرّوخ، ثم أخذ المذهب في الانتشار في أوائل العصر الأغلبي أكثر فأكثر، عندما تنازل هارون الرشيد[4] لابن الأغلب عن تونس(184هـ/800م)، وترسّخ المذهب في افريقية مع أسد ابن فرات من خلال نشر كتابه" المختلطة "، الذي جمع فيه بين أحكام المذهب المالكي والحنفي .

=العلماء منهم زكرياء أبي زائدة وسفيان الثّوري يقال أنّه ولد بتونس سنة اثنتين وأربعين ومائة.أنظر:أبي بكر بن عبد الله، المالكي: **رياض النّفوس**، ج1، تحقيق: بشير بكّوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص.ص177.176.

[1]- القاضي عيّاض: المصدر السابق، ج1، ص.ص26.25

[2]- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص69

[3]- نفسه: ص6

[4]- هو خامس الخلفاء العباسيّين المشهورين والذي حكم في سنة (170هـ/786م) وانتهي حكمه(193هـ/809م) بظهور الخليفة الأمين العباسي ويقال أن أمه هي خيزران البربرية من البربر ونشأ محبا للعرب.أنظر: b.lewis,"abasids".**Eincyclopedie de l'islam**;T1,nelle'ed,1960,p22 .

لكن يُلاحظ أنّ المغاربة لم يتقبّلوا المذهب الحنفي مقارنة بالمذهب المالكي، لأن المغاربة لم يكونوا مهيّئين للمذهب الحنفي وأفكاره الفلسفيّة، فنجد أنّه لم يُقبِل عليه سوى طبقة – الحكام والقضاة –، فكان كل من يعتنق المذهب الحنفي يطلق عليهم المغاربة – العرقايين أو الكوفيين– نسبة إلى مكان ظهور المذهب وشيوعه، إضافة إلى أن المغاربة ألِفوا المذهب المالكي– الدين الإسلامي الصافي من الفلسفات –.

2– الخوارج:

بعد الهزيمة التي حلّت بالخوارج على يد أصحاب الإمام علي رضي الله عنه في معركة النّهروان[1]، لم يتمكّن هؤلاء من أن يكونوا كتلة واحدة، بل اختلفت مبادؤهم وتضاربت آراؤهم وتفرّقوا إلى فرق بلغت في العدد نحو عشرين فرقة، ينطلقون من جملة مشهورة "لاحكم إلا الله"[2]؛ بمعنى لاإمارة إلا الله، ونذكر من أهم فرق الخوارج فرقة الأزارقة، نسبة إلى نافع بن الأزرق، وكان من أكبر فقهائهم وقد كفّر جميع المسلمين، وفرقة النّجدات، أتباع نجدة بن عامر، وأهم تعاليمه التي انفرد بها وأنّ المخطئ بعد أن يجتهد مقدور، وأنّ الدّين أمران، هما معرفة الله، ومعرفة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام[3].

أمّا الفرق الخارجيّة المنتشرة في بلاد المغرب فهي:

1.2– الفرقة الصّفرية: وهم من أتباع زياد بن الأصفر ومواطنهم الإقليم الشرقي من الجزيرة، ومن آرائهم عدم تكفير القَعَدَة من القتال إذا كانوا على نفس عقيدتهم ومذهبهم، وعدم جواز قتل الأطفال المشركين، لأنّهم في نظرهم كفار يجب تخليدهم في النّار وتمسكوا بالتّقية في القول ووافقوا الأزارقة في قولهم بأن أصحاب الكبائر مشركون[4].

2.2– الفرقة الإباضيّة: نسبت إلى أحد فقهاء المذهب وهو عبد الله بن إباض، وأظهر رجال الفرقة المتأخّرين نسبيا في الاجتهاد والحماس والنضال ومن مبادئ هذه الفرقة أنّ

---

(1)- أكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون وهي ثلاثة نهروانات الأعلى والأسط والأسفل وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة منها إسكاف وجرجرايا والصافية وديرقن وغير ذلك ،كان بها واقعة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه.أنظر:أبي عبد الله ، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، مج5، دار صادر، بيروت،1977، ص.ص344.345.

(2)- سعد رستم: المرجع السابق، ص200.

(3)- موسى لقبال: **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة، الجزائر، 2002، ص18.

(4)- نفسه: ص193.

مرتكب الكبيرة موحد، وليس بمؤمن، وكانت نزعتهم تميل إلى السّلم ولا يقولون عن مخالفيهم مشركين لأنّ معهم الإقرار بالكتاب والرسل وإنما هم كفار بالنّعم. [1]

فالظّهور الحقيقي للخوارج في بلاد المغرب يعود إلى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجريّين، ولم ينجح الخوارج في نشر أفكارهم ومبادئهم في بلاد المشرق، فوجهوا أنظارهم إلى بلاد المغرب، فوجدوا في البربر تربة صالحة لنشر دعوتهم، حيث كانوا كالورقة في مهب الرّيح، يميلون مع كلّ دعوة، ويلبّون أيّ نداء فإنّهم لم يتردّدوا في قبول الخوارج والانطواء تحتها. [2]

وإذا كان الخوارج وجدوا بغيتهم في البربر، فإنّ البربر هم أيضا وجدوا ضالّتهم في المذهب الخارجي، حيث كانوا يعانون من تعسّف ولاة بني أميّة تجاوزاتهم مع سكان البربر، من فرض الضرائب على السكان والظلم والاستبداد الذي كان يمارسه الولاة. [3]

وقد عرفت بلاد المغرب صنفين من الخوارج، هما الصفرية والإباضية اللّتان تم ذكرهما سابقا حيث انتشرتا فيها عن طريق شخصيتين بارزتين هما: سلمة بن سعد الذي كان حيا سنة (135هـ/752م) يدعوا للإباضية، وعكرمة بن عبد الله(ت105هـ/723م) يدعوا إلى الصّفرية [4].

وتمكّن هذان المذهبان من إنشاء كيانات سياسيّة في المغرب، فالصّفريّة أسّسوا الدّولة المدراريّة سنة(140هـ/707م)، وتمكّن الإباضيّة من تأسيس الدّولة الرّستميّة سنة (160هـ/776م)، فهذه الكيانات السّياسيّة تمثّل نقلة هامّة في تاريخ بلاد المغرب، حيث نجح أصحاب هذا المذهب في تحقيق أهدافهم المنشودة.

---

(1)- محمود اسماعيل عبد الرّزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري**، ط2، دار الثّقافة، المغرب، 1986، ص.ص44.43.

(2)- ابراهيم التهامي: **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص356.

(3)- أبو العباس محمد، ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1967، ص.ص52.51.

(4)- شمس الدين محمد، الذهبي: **سير أعلام النّبلاء**، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1992، ص9.

3- الشّيعة:

لقد كانت بداية دخول الشّيعة[1] إلى بلاد المغرب وانتشاره على يد الدّاعيين اللّذين أرسلهم الإمام جعفر الصادق (ت148هـ/765م)[2] إلى بلاد المغرب، وقال لهما: "أنكما تدخلان أرضا بورا، لم تحرث قطّ فاحرثاها وكرّباها وذلّلاها، حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه فيها ".[3]

وكان هذان الدّاعيان هما أبو سفيان الحسن ابن القاسم الذي نزل بإحدى المدن المغربية واسمها مرمجنة[4] وأقام بها مسجد وأظهر العبادة والنّسك والفضل، فأقبل عليه الكثير من النّاس من جميع الجهات، فكان يروي لهم أحاديث في فضل آل البيت، وعلمهم وقد تشيع على يده عدد من أهل هذا البلد.

أمّا الدّاعية الثّاني فكان يدعى عبد الله بن على بن احمد المعروف بالحلواني الذي نزل بسوف جمار ضواحي قسنطينة، فلم يزل يدعو النّاس لطاعة أهل البيت حتى استمال قلوب جمع كبير من كتامة وصاروا شيعة لهم، وتأثّر الكثير بدعوتهما، ومع هذان الداعيان انتشرت الدّعوة الشّيعية في جزء كبير من بلاد المغرب.[5]

وأصبحت العقول مهيّأة لقدوم الدّاعي صاحب البذر، الذي سيبذر فيها دعوة آل البيت ومذهبهم، وهو أبو عبد الله الشّيعي[6]، الذي دخل إلى بلاد المغرب وتوجّه إلى أرض

---

(1)- **الشّيعة لغة**: يقول ابن دريد (ت321هـ/ 933م) فلان من شيعة فلان أي ممن يرى برأيه، وتشيع الرجل على الأمر تشيعا إذا أعنته عليه وشايعت الرجل على الأمر مشايعة. أنظر: **جمهرة اللغة**، ج2، تحقيق: منير بعلبكي، دار العلم للملايين، 1987، ص87

(2)- هو الإمام أبو جعفر الصادق بن محمد بن على زين العابدين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا،ولد بالمدينة المنورة سنة (80هـ/699م) وهو الإمام السادس عند الشيعة توفي سنة (148هـ/765م). أنظر: أبي العباس شمس الدّين، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج1، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر،بيروت، (د.ت)، ص.ص328.327.

(3)- إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص293.

(4)- هي مدينة كبيرة قديمة أزلية،فيها اثار كثيرة ولها عيون سائحة وهي على نظر واسع كثير الزرع والخيرات.أنظر: مؤلف مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دارالنشر الثقافية، بغداد، (د.ت)، ص162

(5)- سعد رستم: المرجع السابق، ص200

(6)- هو عبد الله الحسن بن أحمد بن زكري،أصله من الكوفة ويعرف بالمعلم ذهب إلى اليمن التي كانت مركزا هاما للدعوة الشيعية وهنا اتصل بداي الشيعة فيها اسمه ابن حوشب فأخذ يحضر مجالسه ويستفيد منها قتله عبيد الله المهدي سنة (277هـ/980م).أنظر: الذهبي: **سير أعلام النّبلاء**، ج4، ص.ص59.58

كتامة[1] التي قد حرثها وهيأها الحلواني وأبو سفيان ويسّرا له الطّريق، حيث دخلها في ثوب معلم القرآن، وعندما تيقّن أبو عبد الله من نصرة أهل كتامة لدعوته، أعلن بإمامتهم للرّضى من آل البيت وقال:" أنتم أنصار أهل البيت وشيعتهم"[2].

ومن هنا انطلقت دعوته وأعلن أهل كتامة طاعتهم له وبدأ بتنظيم مجتمعهم كما زعم، – الدولة العبيديّة – ذات المذهب الشّيعي الإسماعيلي.

1.3– الفرقة الإسماعيليّة:

هي إحدى فرق الشّيعة بدأت إمامية ثم افترقت عنها عندما ساقت الإمامة بعد جعفر الصّادق إلى ابنه الأكبر اسماعيل، مع ما أشيع أنّه مات في حياة أبيه، ثمّ إلى ابنه محمد بن اسماعيل، الذي اعتبرته إماما مستورا ثمّ في سلسلة أبنائه، واتّخذت مبدأ الإمامة الباطنيّة وأنّ لكلّ ظاهر باطن.[3]

وهكذا أصبحت بلاد المغرب منذ القرن الثاني الهجري مجرى القرن الثّامن ميلادي، أرضا خصبة للكثير من المذاهب والفرق، التي تمكّنت من إنشاء كيانات سياسية– الأغالبة في القيروان، الرّستميون في المغرب الأوسط، الأدارسة في المغرب الأقصى، والأمويّون في الأندلس– ونشر معتقدات فكرية بين سكان البربر، والتي أحدثت خلافات ومناوشات على هذه الأرض وصلت إلى حد الصّراع والاقتتال، كلّ ينازع الآخر من أجل إثبات كيانه.

---

[1]- تطلق على مدينة مغربية تمتد أرضها من حدود جبل الأوراس في الجنوب إلى يمين البحر ما بين بجاية ولواتة.
أنظر: مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**، ص122
[2]- ابراهيم التّهامي: المرجع السابق، ص296
[3]- سعد رستم : المرجع السابق، ص210.

الفصل الأوّل: صراع الإباضيّة ضدّ مخالفيهم في المذهب

أولا- صراعهم مع أهل السّنة.

1-أسباب الصّراع الإباضي السّنّي.

2- مظاهر الصّراع الإباضي السّنّي.

3- آثار الصراع وانعكاساته على المجتمع المغربي.

ثانيا- صراعهم مع الشّيعة.

1- أسباب الصراع الإباضي الشّيعي.

2- مظاهر الصراع الإباضي الشّيعي.

3- آثار الصراع وانعكاساته على المجتمع المغربي.

ثالثا- موقف علماء أهل السّنّة من الإباضيّة.

1-الفتوى والدّروس والتّأليف.

2-المشاركة في الحروب.

تمهيد:

كما ذكرنا سابقا، أنّ الخوارج قد فشلوا في تأسيس كيان لهم في المشرق، نتيجة لقصورهم الفكري وحماسهم الزّائد، بالرّغم مما انطوت عليه مبادئهم من الدّعوة الى الحرّية والعدل، ممّا جعلهم يفكرون في بلاد المغرب علّهم ينجحون في انشاء كيان لهم بعد أن تفطّنوا إلى أنه لابد من تكوين جيش قوي والعمل في السّر بمبدأ سمّوه "مبدأ التّقية".

وقد قاموا بعدّة ثورات في بلاد المغرب تصدّيا لتعسّف ولاّة بني أُميّة، ويمكن أن نصف هذه الثّورات بالجذور الأولى للصّراع المذهبي في بلاد المغرب، لأنّنا إذا عرفنا أسبابها سنجد أنّ غايتها مذهبيّة بالدّرجة الأولى، فالخوارج هدفهم هو نشر المذهب الخارجي في بلاد المغرب.

ومن أسباب هذه الثّورات هي سياسة بني أميّة التي انتهجوها ضدّ البربر من ظلم وتعسّف واعتداء على الشّرف والكرامة، كلّها عوامل استغلّها الخوارج لطرح فكرتهم التي تنصّ على مبدأ الشّورى، الأمر الذي جعل المغاربة ينخرطون في صفوف الخوارج.

وكانت أوّل ثورة قاموا بها هي ثورة ميسرة المدغري[1] سنة(122هـ/740مـ)، والتي شارك فيها معظم القبائل البربرية، وهذه الثّوره أدّت دورا كبيرا في نشر المذهب الصّفري، ما أدّى إلى حدوث صراع كبير بين الإباضيّة والصّفريّة، والذي انتهى بانتصار الإباضيّة.

واستمرت ثورات الخوارج الإباضيّة خاصّة في عهد الدّولة الرّستميّة في بلاد المغرب ضدّ مخالفيهم من المذاهب الأخرى، وكانت أهمّ هذه الصّراعات ضدّ الأغالبة أصحاب المذهب السّنّي، ثم ضدّ العبيديين أصحاب المذهب الشّيعي، فماهي دواعي وأسباب هذا الصّراع؟ وكيف انعكس على المجتمع المغربي؟.

[1]- هو ميسرة المدغري رأس الصفرية، وكان قد خرج بالمغرب وتسمى بالخلافة وبويع عليها.أنظر: ابن عذاري: المصدر السابق ،ج1، ص 35.

أوّلاً- صراعهم مع أهل السّنة:

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ استعمال الإباضيّة للعنف ظهر في ثلاثينيات القرن الثاني للهجرة عندما صارت إفريقية تابعة للدولة العباسية، ولما قامت الدّولة الأغلبيّة[1] تعكّرت العلاقات بينهما أكثر فأكثر، وأصبح القضاء على الإباضيّة من مهام الأغالبة، وبذلك فقد وصل العداء بينهما إلى حدّ استعمال السّلاح والقوّة، خاصة خلال القرن الثّالث للهجرة، والذي أدّى إلى صراع دام وعنيف بين الطّرفين، فقد تعدّدت أسباب هذا الصّراع إلى أسباب مذهبيّة بالدرجة الأولى، ثم إلى أسباب سياسية وجغرافية.

1- أسباب الصّراع الإباضي السّنّي:

لعلّ ما يبرهن على سلوك العداء بينهما، هو الاختلافات الدّينية المذهبيّة، التي كانت وراء هذه الصّراعات، فإذا كان الرستميون[2] من الإباضية الذين يقولون بتكفير مخالفيهم ووضع السيف على رقابهم، فإن الأغالبة من السّنة المالكيّة أشدّ المذاهب بغضا للنّحل المتطرفة،[3] ولذلك لم يقرّ قرار المسلمين، فأينما وجد الخوارج حلّوا بفعل ثوراتهم المتكرّرة، التي كانت توجّه سهامها ونصالها ضدّ أعداء الإسلام الحقيقيين[4].

كذلك إنحراف الإباضيّة في الجانب العقدي عن منهج أهل السّنة، حيث كان منهج الإباضية يشبه إلى حدّ كبير المعتزلة[5]، إذ كانوا يوافقونهم في القول بالوعد والوعيد

---

(1)- للتّعرف على الدّولة الأغلبيّة أنظر: الجزنائي: **كتاب زهرة الأس في بناء مدينة فاس**، نشر: ألفرد بك،(د.ن)، الجزائر،1922م،ص9.؛ ابن وردان: **تاريخ مملكة الأغالبة**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة،1988م،ص30.؛ محمود اسماعيل: **الأغالبة(184-196هـ) سياستهم الخارجية**، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط3، القاهرة، 2000م، ص.ص111.112.

(2)- تنسب هذه الدّولة إلى مؤسسها عبد الرحمان بن رستم الفارسي الإباضي، حين فر إلى تيهرت بعدما طارده الأغالبة عمال الخلافة العباسية من القيروان حيث توافد عليه مجموعة من العلماء من جميع الأقطار من طرابلس من جبل نفوسة ثم بويع بالإمامة نظرا لعلمه ومكانته وكان ذلك عن طريق الشّورى. أنظر: المالكي، ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق: محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1976م ص26؛ أبو زكرياء،يحي بن أبي بكر: **سير الأئمة الرستميين واخبارهم**، تحقيق: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر،1984 ، ص35.

(3)- نورة مواس: **العلاقات الخارجية للأغالبة (184-296هـ)**، رسالة ماجستير،جامعة الجزائر، قسم التاريخ،2008-2009م، ص105.

(4)- إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص362.

(5)- يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية، لقولهم بعدله وحكمه وهم يجعلون لفظ القدرية مشرى وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر وشره من الله تعالى. أنظر: الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 65.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يوافقونهم في اعتبار صفاة الله تعالى هي عين الذات وفي إنكار رؤية الله تعالى في الآخرة.

بالإضافة إلى الأسباب السياسيّة، فبحكم العلاقة التي كانت تربط الأغالبة السنّيين بالخلافة العباسيّة فقد كانوا عملائها، ورمز نفوذها في بلاد المغرب، وقد قامت سياستهم الخارجيّة بمعادات أعدائهم، ولم يتقاعس بنو رستم عن منازعة جيرانهم الأغالبة الأعداء السياسيّين.

ولعلّ ما يبرز هذا العداء بين الإباضية وأهل السّنة، هو أنّ العبّاسيّين لمّا آلت إليهم الخلافة اعتبروا بلاد المغرب كلّها ميراثا شرعيًّا تركه الأمويين لهم، وعلى هذا نظرو إلى الرّستميين نظرة عداء، وأصبحت هذه النّظرة تحكم سير العلاقات بينهما فقامت على أسس عدائية بين الطّرفين باعتبار أن الرّستميين اقتطعوا جزءا من ممتلكات العباسيّين[1]، فقاوم العباسيّون عبد الرحمان بن رستم منذ اللّحظات الأولى التي ظهر فيها على مسرح الأحداث في بلاد المغرب، لأنه كان في نظرهم خليفة لأبي الخطاب بن الأعلى المعافري عدوّهم اللّدود، والذي قاد ثورة ضدّهم سنة (144هـ/761)[2].

ومن أسباب الصّراع أيضًا هو ما قام به الإباضيّة من ثورات، حيث كان وجودهم بالمغرب عبارة عن ثورات متّصلة، وكانت أفعالهم لاتمتّ للإسلام بصلة، حيث يصف لنا ابن عذارى[3] ما فعله هؤلاء بقيادة عاصم بن جميل حين دخولهم القيروان،[4] من استحلال للمحارم وهتك للأعراض، واستهتارهم بالمقدسات الدينية، بربطهم دوابهم في مسجد عقبة، وفعلهم المناكير فيه.

---

(1)- محمد بن عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حظارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس**، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، الكويت،198 7م، ص187.

(2)- سليمان باشا، الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الإباضية**، مطبعة الأزهار البارونية، (د.م)، (د.ت)، ص3؛ أبو العباس أحمد بن سعيد، الشماخي: **السير** ، ج3، تحقيق: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت،2009 م، ص133.

(3)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص125.

(4)- هذه المدينة هي مدينة عظيمة في افريقية وليس بالمغرب مدينة أجل منها، أسسها عقبة بن نافع واستغرق في بناءها مدة أربع سنوات. وهي مدينة في طرف البر وقد قال فيها مهدي بن عيسى الصميلي ابن مرزوب "مازلت أبحث في الاثار والأخبار إلى أن وجدت أن القيروان رابعة الثلاثة: المدينة ومكة وبيت المقدس والقيروان. أنظر: ياقوت الحموي، شهاب الدّين: **معجم البلدان**، مج4، دار صادر ، بيروت،1977 ، ص420-421.؛ الدّباغ، عبد الرحمان: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق إبراهيم شبوح، ج1، مكتبة الخانجي، مصر،1986م، ص.ص6. 7.

وكانت منطقة طرابلس[1] تابعة للأغالبة، وقد امتد نفوذ عاملها على بعض بطون هوارة[2] الإباضية، الضّاربة بجوارها، هذا ما أدّى إلى الاحتاك بين الأغالبة والرستميّين على هذه المنطقة، إذ كانت إفريقية عرضة لإغارات الخوارج القاطنين في هذه المناطق، ويعود أوّل احتكاك بينهما إلى عهد إبراهيم بن الأغلب، وعبد الوهّاب بن عبد الرحمان بن رستم، والسّبب حسبما يبدو، هي إثارة قبيلة هوارة والإباضية القلاقل في وجه ولاّة طرابلس الأغالبة، رغبة منهم في الانفصال والانضمام للرستميّين[3].

أمّا بالنّسبة للظّروف الجغرافيّة، فقد فرضت على الدّولتين اتّخاذ طابع عدواني، فلم يكن ثمّ محيد عن الصّدام أمام تشابك الحدود وعدم وضوح معالمها، فقد أطاحت الدّولة الرّستمية بإفريقيّة الأغلبيّة في الشّرق، والغرب، والجنوب، ولم يكن هناك ما يضع رعايا الدّولتين من القبائل البدويّة من الحركة، والانتقال والاختلاط في مناطق الحدود، وقد اختلط على بعض الجغرافيّين فنسبوا بعض البلدان الرّستميّة إلى دولة الأغالبة، والذي يعنينا هو أن الصّدام بين رعايا الدّولتين في مناطق الحدود كان لا ينقطع فإقليم الزاب[4] ونواحي بلزمة[5]، شهدتا صراعا داميا بين فقهاء المالكية واتباع المذهب الإباضي[6].

والجدير بالتّنويه أنّ جمهور الإباضيّة بتلك النّواحي لم يكن برمّته مواليا للرّستميين، فجماعتا الخليفة من زواغة والنّكار من هوارة كانتا على عداء مع بني رستم، وليس من

---

(1)- سمّاها اليونانيون طرابليّة وذلك بلغتهم أيضا ثلاث مدن لأن "طرا" معناها ثلاث و"بلية" مدينة وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان وهي على شاطيء البحر ومبنى جامعها أحسن مبنى وبها أسواق حافلة جامعة وبها مسجد يعرف بمسجد الشعاب ولها بساتين كثيرة وهي في شرقيها تتّصل بسبخة كبيرة يرفع منها الملح، وداخل مدينتها بئر يعرف ببئر كنود. ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج4، ص25.

(2)- قبيلة بربرية كبيرة قطنت في طرابلس الغرب، وبرقة، واستقرت في الصحراء، ودخلت في الإسلام مع بداية الفتح الإسلامي، وناصرت خوارج المغرب ثم خضعت للخلفاء العبيدّيين .أنظر: عبد الكريم الخطيب: **المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسائل، بيروت ، 1996م، ص434.

(3)- أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص23.

(4)- كورة صغيرة يقال لها زيغ، كلمة بربرية معناها السبخة،فمن كان منها يقال له الريغي والزاب أيضا:كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها وقد خرج منها جماعة أهل الفضل وقيل: إن زرعها يحصد في السنة مرتين. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج3، ص124.

(5)- ومدينة بلزمه حصن لطيف فيه رجال جلد وله ماء جار وهو فى وسط فحص عليه سور تراب وزروعهم تسقى بمائهم وهو بلد محدث للعرب وفيه بقاياهم الى الآن وهو من الرخص والسعة وكثرة الكراع والماشية والعزّ والمنعة فى غاية حسنة. أنظر: ابن حوقل، أبي القاسم: **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1996 ، ص67.

(6)- ابن خلدون، عبد الرحمان: **العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، ج4، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص203.

المستبعد أن يكون الأغالبة قد اصطنعوا بعض هذه العناصر لإثارة العراقيل والقلاقل في الدولة الرّستمية، لأن جماعات الإباضية بنواحي " قسطيلية " – بلاد الجريد– لم يتعرّضوا لاضطهاد الأغالبة، لكنّ الذي لا شكّ فيه أنّ جمهور الإباضية الوهبيّة[1]، من لواتة، وهوارة في تلك الأصقاع لقي عسفا وعنتا من أيدي بني الأغلب وعماله.[2]

كما كانت حدود دولة الأغالبة الشّرقية غير واضحة المعالم، فقبائل نفوسة[3] الإباضية كانت تضرب قرب طرابلس التابعة لبني الأغلب، وامتدت ديارها حتى مشارف القيروان ذاتها، ومن ثم كانت هذه المناطق ميدانا حافلا للصّراع بين المذهبين الإباضي والسُّني.[4]

وليس صحيحا ما ذهب إليه بعض مؤرخي الغرب من انتفاء طابع العداء بين الأغالبة وبني رستم، وقولهم بأنّ كليهما يتمتّعان بحدود آمنة، عازفا عن شهر السّلاح في وجه جاره، فحقيقة لم يصل التّشاحن بينهما إلى حد يهدّد وجودهما بسبب انشغال الأغالبة بمواجهة مشاكلهم الدّاخليّة، فضلا عن النّشاط البحري الذي ضربوا فيه بسهم وافر.[5]

والشّيء نفسه يقال عن بني رستم، واهتمامهم بحركة التّجارة مع الجنوب، هذا فضلا عن بعد المسافة ووعورة الطرق بين تيهرت وإفريقية، فقد كانت المسافة بينهما مسيرة شهر على ظهور الإبل.[6]

لكنّ ذلك لا يعني قطّ أحجام حكام الدّولتين عن الإغارة على أملاك بعضهم البعض، على امتداد الحدود، وخاصّة في الجهات الشرقية، بل دأبوا على بث الفتن وإثارة العراقيل

---

(1)- هم الذين أيدو لإمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم وصوتوا لإمامته وهم جمهور إباضية المغرب. أنظر : أبو زكرياء الورجلاني: المصدر السابق، ص176.

(2)- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص188.

(3)- بالفتح ثم الضم والسكون وسين مهملة، جبال في المغرب بعد إفريقية عالية نحو ثلاثة أميال فيها منظران في مدينتين إحداهما سرس وسط الجبل والأخرى يقال لها جادوا من ناحية نفزاوة من البربر.أنظر: ياقوت الحموي: المصدرالسابق، مج6، ص296؛ عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق، ص. ص424.423.

(4)- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص188.؛

- Marcais,G: **la Berberie Musulmane et l'orient au moyen age**, paris, 1946, p 107.

(5)- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص189.

(6)- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص216 .

وتحريض العناصر المعادية للحكم، إذ كان الرّسميون الأوائل قد أحرزوا النّصر في المرحلة الأولى فإنّ الأغالبة ضفروا به بعد ذلك في أواخر العصر الرّستمي.[1]

2- مظاهر الصّراع الإباضي السّنّي:

لقد كانت جلّ الأسباب والاختلافات المذهبية، والسياسيّة، والجغرافيّة التي كانت بين أهل السّنة والإباضيّة كفيلة باللّجوء إلى المواجهة المباشرة بين الطّرفين.

بيد أنّ وسيلة القوّة ورفع السّلاح في وجه الإباضيّة، والمشاركة في حربهم مع جيوش الخلافة السّنية، هي أقوى الوسائل وأمضاها التي اتّخذها علماء المغرب من أهل السّنة في إخماد هذه الحركة الخارجية، حيث شارك خلفاء بني أميّة في الحملات التي قام بها أهل السّنّة وضمّوا جهودهم إليها لأنّ خطر الإباضيّة كان أعظم، وكان هدفهم هو القضاء على هذه النّحلة الخطيرة، وبالتّالي يفسدون الطّريق لأهل السّنة لنشر مذهبهم، فلقد كان لهذه المواجهة عدة مظاهر منها:

أنّ أهل السّنة شرعوا في محاربة الخوارج الإباضية ببلاد المغرب منذ وقت مبكر من التّاريخ، حيث تبنّت بعض القبائل الزناتيّة للمذهب الخارجي الصّفري، والإباضي وتأسيسها لإمارات بكل من سجلماسة،[2]وتيهرت[3].

فكانت أوّل مواجهة بينهم هي موقعة تَشَارك فيها علماء المغرب السّنيين مع جيش الخلافة، وتعاونوا معه في مقاومة الخوارج، هي بقدورة[4] سنة(124هـ/742م)، حيث شاركوا مشاركة فعالة ولم يتخلّفوا عن داعي الجهاد، وكان لبعضهم دور قيادي في المعركة وأبلوا بلاءا حسنا رغم الهزيمة التي مني بها جيش الخلافة، وقد زادتهم قوة

---

(1)- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص216

(2)- هي مدينة توجد جنوب المغرب من طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام كانت قاعدة تافيلات المهددة لدولة الأشرف العلوية. أنظر: تقي الدين أحمد بن علي، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين**، ج1، تحقيق: جمال الدين شيال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، ص32.

(3)- بفتح الهاء وسكون الرّاء، والتاء فوها نقطتان اسم لمدينتين متتاليتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تيهرت القديمة وللأخرى تيهرت المحدثة. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج3، ص7.

(4)- هي بلدة واقعة على وادي سبو بالقرب من مدينة تيهرت وقعت بها معركة سميت بمعركة بقدورة. أنظر: ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص364.

وإصرارا على مواجهة العدوّ، فنهضوا بقيادة عبد الرّحمان بن عقبة بن نافع، والتقوا بالخوارج الصّفرية في موضع يعرف بالفحص الأبيض،[1] فهمزموهم، وقتلوهم.[2]

ولم يتوقّف جهاد العلماء إلى هذا الحد، بل استمروا في تحريك العامّة وتوعيتهم بخطر الخوارج وانحرافهم، وقد أعادوا المشاركة مع جيش الخلافة عندما جهزوا جيشا جديدا للمهمّة ذاتها، فخرجوا مع الجيش تحت قيادة القاضي عبد الرحمان بن عقبة، وهزموا الخوارج الصّفرية في موقعتين متتاليتين.[3]

اتسمت العلاقات بين الأغالبة والرّستميين بالطّابع العدائي، فإذا كان بعض المؤرّخين يرون انشغال الأغالبة بصقليّة[4]، وأنّ الرّستميين بدورهم اشتهروا بالتّقوى والمسالمة وانصرافهم إلى شؤونهم الدّاخلية، ممّا كان في رأي هؤلاء وأولئك سببا في دعم اتّخاذ العلاقات بين الدّولتين طابعا عدائيا، ولكنّ المترصّد للأحداث، والمتتبّع لها عن كثب يتبيّن له غير ذلك، سواء من هذا الطّرف أو ذاك، فالأغالبة انشغلوا فعلا بصقليّة، والآخرين كفّوا عن التّوسع في أراضي الأغالبة.[5]

1.2- حصار طرابلس:

من الأحداث المهمّة والخطيرة التي شهدتها بلاد المغرب، هو حصار مدينة طرابلس في عهد عبد الوهّاب بن عبد الرحمان بن رستم (171هـ/886م)، ذلك أنه تمكّن من الإمامة، واستقرت له الأمور بعد أن قضى على الخلافات التي شهدتها فترة حكمه، حيث بدأ النّزاع السّني الإباضي في منطقة طرابلس، وسببه أن المدينة كانت تابعة للأغالبة، وقد امتد نفوذ علمائها على بعض بطون هوارة الإباضية.

---

[1]- بفتح أوله وسكون ثانيه واخره صاد مهملة، هوكل موضع يسكن فيه جبلا كان أو سهلا بشرط أن يزرع وهناك بالمغرب عدة مواضع تسمى الفحص.أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج4، ص236.

[2]- ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص364.

[3]- أبي القاسم عبد الرحمان، ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب، تحقيق**: محمد صبيح ، (د.ن)، القاهرة، (د.ت)، ص298.

[4]- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص96.95.

[5]-Marcais(g): **l'afrique dy nord française dans l'histoire**, paris, 1937, p144.

من البديهي أن يطمح هؤلاء الإباضية إلى الإستقلال عن السّلطان الأغلبي، والدّخول في طاعة بني رستم- الإباضيّة- فبدأوا بإثارة المتاعب في وجه العامل الأغلبي على طرابلس، وغدت الجماعات منهم إلى الإغارة على المدينة وبث الرُّعب بين سكانها.[1]

فكان عاملها يسرف في الإنتقام من الإباضية، حتّى خرجت جموع غفيرة، ولجؤوا إلى الصّحراء، مستمدّين العون من جيرانهم إباضيّة نفوسة، فقد نجحوا عام (196هـ/812م) في اجتياح طرابلس، وألحقوا بها الخراب والدّمار ثمّ حصّنوها ببناء صور حولها.[2]

استعان الإباضيّة بالإمام عبد الوهّاب بن عبد الرحمان، فاستجاب لهم، فخرج على رأس جيش من نفوسة وغيرها حتّى ضرب حصاراً حول طرابلس،[3] ولكنه لم يستطع إقحام المدينة، لأنّ عبد الله بن الأغلب باشر القتال، وتمكّن الجنود من اغتيال بعض جنود الإباضية، وكاد عبد الوهّاب أن يعود من حيث أتى لولا أن أسعفه الحظّ بموت ابراهيم بن الأغلب، واستدعاء ابن عبد الله إلى القيروان لتقلّد الإمارة.[4]

فاضطر عبد الله إلى التّسليم بمطالب الرّستميّين في انضمام إباضيّة هوارة إلى دولتهم، وانسلاخهم عن نفوذ عامل طرابلس الأغلبي، حيث نصّ في الاتفاق على أن يكون البلد والبحر لعبد الله، وما كان خارجا عن ذلك لعبد الوهّاب.[5]

هكذا انتصر عبد الوهّاب بسبب اضطرار عبد الله إلى وقف الحرب، وعودته إلى القيروان، وهذا ما شجعه على الاستيلاء على قابس، وهي ميناء على البحر كان تابعا للأغالبة.[6]

---

(1)- أبو زكرياء الورجلاني: المصدر السابق، ص23

(2)- أبو الحسن علي بن أبي كرم، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، مج6، دار الكتب العلمية،لبنان،1987، ص60

(3)- مسعود المزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب**، مؤسسة تاولات الثقافية، الجزائر،2003م، ص.ص81.80.

(4)- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ، ج6، ص60.

(5)- الشماخي: المصدر السابق، ص161.

(6)- أحمد بن أبي يعقوب، اليعقوبي: **البلدان**، (د.ن)، (د.م)،1891، ص.ص350.349.

وكذلك آلت إليه بعض القرى والحصون الأخرى، ثم عبرت الجيوش إلى جزيرة "جوية" واستولت عليها، وعاد عبد الوهّاب إلى جبل نفّوسة، ومنه إلى تيهرت بعد أن استولى عماله على هذه النواحي الجديدة.[1]

وانشغل الأغالبة بمشاكلهم الدّاخلية عن تصريح الوضع على حدودهم الشّرقية، كما قنع الرّستميون بما أحرزوه من مكاسب، ولم يتمادوا في سياسة التّوسع، مغتنمين فرصة ثورات الجند في إفريقية على الإمارة الأغلبية.[2]

2.2- موقعة مانو (283هـ/897 م):

اختلفت المصادر والرّوايات التاريخة حول أسباب هذه الموقعة، وتفسير دوافع هذا الغزو، فبعضها انفرد إلى اعتراض نفوسة للجيش الأغلبي الزّاحف نحو مصر الطّولونية، وبعضها الآخر يزعم أنّ الأمير الأغلبي كان قائما على رأس الجيش من بغداد لغزو تيهرت، فاعترضته نفوسة دفاعا عن عاصمة الرّستميين، بينما يذهب ابن عذاري غلى أنّ جيش الأغالبة كان متوجّها إلى طرابلس لتأديب عاملها، فاعترضته نفوسة ومنعته من المرور.[3]

في حين أنّ الشّمّاخي[4] يقول:" أنّ ابراهيم ابن الأغلب والي بني العباس على إفريقة كان ظالما جائرا، فقدم إلى طرابلس للاجتماع بأمير نفوسة على قتال الأمير الأغلبي، لأنه أفسد وتعدى" لكن رأي هذا الأمير هو القتال والجهاد، وإظهار المعروف لتكون كلمة الله هي العليا.[5]

وعلى الرّغم من ذلك، فإنّ هذه الموقعة كانت أعنف وأقسى موقعة حدثت للإباضية فهي تجمع على اعتراض إباضية نفوسة الجيش الأغلبي في مكان يقال له قصر مانوا يقع بين قابس وطرابلس[6]سنة (283هـ/897م)، فقامت معركة بين الطّرفين، وظلّ

---

[1]- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص192.
[2]- الشماخي: المصدر السابق، ص194.
[3]- ابن عذاري: المصدر السابق ، ج1، ص173-174.
[4]- الشماخي: المصدر السابق، ص264
[5]- نفسه: ص266.
[6]- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص192.

الخلاف قائما بين نفوسة بين مؤيد ومعارض، لترك جيش الأغالبة وشأنه، وأنّه أراد العودة إلى عملائه فاقتتل الجيشان أعنف قتال، حتى همُّوا بالانهزام، فصارت الرّجال تنهدم كالحيطان، وقتل منهم خلق كثير.[1]

ويذكر الدّرجيني تفاصيل هذه الموقعة فيقول:"... فاقتتلوا قتالا شديدا، لم يُرَ اشدّ منه بالمغرب في ذلك العصر، فخرج رجل مع عسكر المشرق يطلب المبارزة مع عسكر نفوسة، فلم يخرج إليه أحد إلا قتله، فأراد الخروج إليه أفلح ابن العباس _ وهو أمير الجيش_ فأبى ذلك أصحابه، فقال لابد من ذلك، فخرج إليه فقتل افلح، واشتد بينهم القتال، وأسرع القتل في الفريقين حتّى همّوا بالانهزام".[2]

وفي خِضمّ هذا القتل أمر أفلح ابن العبّاس صاحب البند بأن يركّزوه كي لاينهزم عنه أحد، فرفض، ثم اقتتلوا مليًّا، وعندما أصرّ أفلح، حفر له وأوقفه وفر أفلح من ميدان المعركة، وترك رجال نفوسة يسقطون قتلى قرب البند، فرأى ذلك رجل من ذوي البصائر، فضربه بسيفه حتّى وقع وعندما رأى ذلك بقيّة العسكر ولّوا مُدبرين، وحمّلت نفوسة أفلح بن العباس هذه الهزيمة، واتّهمته بأنّه صمّم على تركيز البند رغم أن القوّتين غير متكافئتين.[3]

لقد خرجت نفوسة من هذه المعركة بخسارة فادحة حيث يذكر الباروني[4] " أنّ البحر صار لونه أحمر من عدد القتلى"، إذ قدّر عددهم حوالي: "اثني عشر ألف قتيل منهم أربعة آلاف من نفوسة، والباقي من مختلف القبائل وحوالي أربع مائة فقيه وعالم وعدد الأسرى كان حوالي ثمانون أسير".[5]

---

(1)- مسعود المزهودي:المرجع السابق.ص91

(2)- أبي العباس أحمد بن سعيد، الدّرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق: ابراهيم طلائي،ج1، (د.ن)، (د.م)، 1974م، ص 88.

(3)- الدّرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 89.

(4)- الباروني: المصدر السابق، ج2، ص 132.

(5)- ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 25.

لم يرحم ابن الأغلب الأسرى، فعمروس بن قاضي فتح الجبل في عهد منصور أبي إلياس، وهو أحد الأسرى" أخذوا يقطعنوه بالحديد من إبهامه، حتى وصلوا إلى مرفقه فاستشهد رافضًا طلب العفو"[1].

وبعد موقعة مانو، أخذت الخوارج تضعف رويدًا رويدًا، إلى أن وصلوا في الضّعف والانحطاط إلى ما كانوا عليه، وكذلك أصبح أمر الإمامة في تيهرت يتّسم بالمشاكل والصّراع حول السّلطة، وأخذ في الإنحلال والإدبار والوهن، لأنّ النفوسيّين هم عدّة الدّعوة الإباضية القوة ومادة حياتها الروحيّة[2].

ولولا ما حلّ بدولة الأغالبة من اضطراب سياسي في عهدها الأخير، وانصراف أمرائها لمجابهة الخطر الشّيعي، لأمكنهم غزو تيهرت نفسها، وإسقاط الأسرة الرّستمية، لكنّ الدَّولتين المتعاديتين جمعتهما في النّهاية وحدة المصير فقد وقعتا فريسة للغزو الشّيعي سنة (297هـ/909م) [3].

3- آثار الصّراع وانعكاساته على المجتمع المغربي:

لاشكّ أنّ الصّراع الإباضي السّنّي قد نتج عنه فتن وحروب ألمّت بالمسلمين، ما سبب بلاء ونكبات حلّت بكلا المذهبين، الأمر الذي أثّر تأثيرا مباشرا على المجتمع المغربي في شتّى المجالات. فماهي آثار وانعكاسات الصراع الإباضي السّني على المجتمع المغربي؟

من الآثار السّياسية للصراع المذهبي – السّني، الإباضي- هو ما نتج عن موقعة مانو، فقد عبّر أبو زكرياء الورجلاني عن ذلك بقوله:" أنّ نفوسة لمّا قتلوا في وقت مانوا، بقي من بقي منهم، ولم يجدوا من بين الناس أموالهم من الأشجار العسفاء يعني الأجيراء".[4]

---

[1]- مقرين بن محمد، البغطوري: **سير مشائخ نفوسة**، تحقيق: توفيق عياد الشقروني، مؤسسة تالوت الثقافية، 2009م، ص 259.

[2]- الباروني: المصدر السابق، ج2، ص280

[3]- محمود اسماعيل : المرجع السابق، ص194.

[4]- أبو زكرياء الورجلاني: المصدر السابق، ج2، ص11.

وقد انهارت قوة نفوسة بعد هذه الوقعة، حيث قضى فيها الأغالبة على خيرة الجند النّفوسي، فأصبحت الإمامة الرّستميّة في أيدي القوى المتنازعة في تيهرت، وبسبب افتقار أئمّة بني رستم إلى جيش ثابت، لجؤوا إلى وسائل مختلفة لمواجهة الثّورات الدّاخلية فقد أطلقوا نداءات للرّعيّة يدعون فيها للكفّ عن الفتن والتزام سنّة السّلف الصّالح في الوقت نفسه الذي كانوا ينتهكون فيه تعاليم المذهب ويخرجون على سنّة أسلافهم.[1]

وقد غيّر بنو رستم سياستهم ولجؤوا إلى أساليب سياسية ملتوية كالتّجسس، وبذل الرّشوة، والخداع، فعبد الرّحمان بن رستم لمّا أعيته الحيل في قمع ثورة خلف بن السّمح بثّ أتباعه في التّجسّس عليه وعلى أتباعه[2]، ومع ذلك فقد ترك الخوارج آثارا واضحة في الفكر السّياسي ونظم الحكم في بلاد المغرب، خاصّة في القرن الثالث الهجري.

أمّا في الجانب الإقتصادي والإجتماعي، فقد أحدث الإباضية آثارا سيّئة للغاية، إذ تمخض عنها خراب ودمار وكساد في مجالات الزّراعة والتّجارة والصّناعة، وإن كنّا نعلم أنّ الأحوال قد ساءت منذ العهد الأموي نتيجة للسّياسة التي انتهجوها بالمغرب[3]، ورغم الإصلاحات التي قام بها عبد الرحمان بن رستم، إلا أنّ الصّراع السّني الإباضي قد جعل الأحوال تسوء، فضلا عن ذلك فقد أُزهقت أرواح كثيرة أودت بحياة الكثيرين، بالإضافة إلى ظهور أمراض وأوبئة نتيجة لتعفّن جثث القتلى[4].

ثانيا– صراعهم مع الشّيعة:

بعد قيام الدّولة العبيديّة ببلاد المغرب، بطش جيوشهم بالخوارج في المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، ودخلت عواصمهم بحدّ السّيف، ثم سار الزيريّون على نهجهم حتّى كان من نتائج ذلك أن خلى المغرب الأوسط من أهله [5].

---

(1)- الباروني: المصدر السابق، ج2، ص119

(2)- نفسه: ص155.

(3)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص125

(4)- الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق: محمد زينهم، دارالفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1994 م، ص125.

(5)-عز الدين موسى: **طريق الصحراء الليبية**، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، يناير،1973،ص112.

1 -أسباب الصّراع الإباضي الشّيعي:

من الطّبيعي أن تتّسم العلاقات بين الإباضية والشّيعة العبيديّة بالعداوة، فمن الجهة السياسيّة الشّيعة هم الذين أسقطوا إمامة الظّهور، ومن الجهة الذهبيّة هناك خلاف كبير بينهما فهما متباينان في الفروع تباينا جوهريا خاصّة في مسألة الخلافة، فلا غرابة أن يصطدما ولو مؤقتا،[1] لأنّ وجود العبيديّين في بلاد المغرب ما هو إلا مرحلي فمصر كانت دائما حلمهم وهدفهم.

ويتبيّن أنّه من أسباب الصّراع أيضًا هو معاناة الإباضيّة من سياسة القمع التي سلكها عبيد الله، والذي فرض عليهم الضّرائب الباهضة، واستبد الحياة في جمعها استبدادا مبالغا فيه، ولولا صبرهم وتحملهم لأبيدوا إبادة جماعية[2]، وما دفع العبيديّين لفعل ذلك هو تمسّك الإباضيين تمسّكا شديدا بمذهبهم، وعقيدتهم وحرصهم على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.[3]

2- مظاهر الصّراع الإباضي الشّيعي:

كانت أوّل ثورة قام بها الإباضيّون هي ثورة طرابلس سنة (296هـ/914م)، فقد ثاروا بزعامة هارون الهوّاري، تؤازرهم قبائل زناتة ونفوسة، وحاصروا المدينة فأُرغم ماكنون على التّحصين داخل السّور، في انتظار وصول الامدادات لفكّ الحصار عليه، وأرسل إليه عبيد الله المهدي فرقا من الجند يقودها أبو تمام بن معارك الأجّاني، وتمكّن هذا الأخير من الانتصار عليهم إذ قتل منهم الكثير وأرسل برؤوس قتلاهم إلى المهدي برقادة، ورغم ذلك فقد اتّهم بالخيانة، وأنه يتآمر عليه بتحريض الناس ضدّهم، فأوعز إلى ابن أخيه ماكنون ليقتله فتم ذلك سنة (292هـ/910م). [4]

---

[1]- عارف تامر: **القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج**، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1982م، ص.ص21.22.

[2]- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص114.

[3]- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص237.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق،ج1، ص164.

ولمّا تمكن ماكنون من تأمين المنطقة تطاول في الحكم وبالغ بنو عمومته في سلب أموال العامّة، فأثارت هذه المعاملة انتفاضة أخرى سنة (300هـ/914م)، حيث قام سكان طرابلس بقتل أفراد كتامة، وفرّ ماكنون إلى رقادة، وأرسل عبيد الله خمسة عشر سفينة محملة بالجند لإخماد هذه الثورة.[1]

ولمّا توفي عبيد الله الشيعي، تولّى ابنه أبو القاسم الخلافة، وثارت في عهده ثورات عديدة بزعامة رجل عربي من العراق يدعى محمد بن طالوت، الذي ادّعى بأنّه المهدي، حيث تمكن من استمالة النّاس، لكن حامية من جند طرابلس تصدوا له وقتلوه،[2]وقد استغلت نفوسة بدورها تردّي الأوضاع فأعلنت ثورتها سنة (310هـ/922م)، وما إن انتهى العبيديّون من القضاء على الاضطرابات التي وقعت بطرابلس حتى شنّ سكان جبل نفوسة ثورة يتزعمهم فيها رجل تسميه المصادر "أبا بطّة".[3]

ونعتقد أنّ العبيديّين أرادوا إخضاع الجبل لحكمهم، خاصّة وأنّه أصبح ملاذا للثّورات الإباضية، وأصبح سكّانه يدعمون كلّ حركة عصيان تظهر في المنطقة، ضف إلى ذلك إحيائهم للإمامة الرّستمية، ومهما يكن من أمر فقد أنفذ إليهم عبيد اللّه المهدي جيشا بقيادة علي بن سليمان الدّاعي.[4]

فَشَنَّ هجومًا على قرية الجزيرة لكنَّه هُزِم، إذ لم يتمكّن النّفوسيّون من صدّه ومن قتل العديد من جنده، فتفرّق أصحابه ممّا جعله يعود إلى طرابلس، وأرسل عبيد اللّه يخبره بالهزيمة وطلب منه ضرورة إرسال الإمدادات إليه، فكتب الخليفة لعامله على قَابِس علي بن لقمان يأمره بقتل كل من مرّ به من المنهزمين، ففعل جزاء تركهم لقائدهم وخذله في ميدان المعركة.[5]

---

(1)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص7

(2)- ابن غلبون،الطرابلسي: **التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من أخبار**، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة،1349، ص.ص16.17.

(3)- يرى محمود إسماعيل أن إسم أبا بطة ماهو إلا كنية لأبي يحي زكرياء الأجاني الذي تولى قيادة جيش نفوسة .أنظر: محمود إسماعيل : المرجع السابق، ص167.

(4)- نفسه : ص.ص 177.176.

(5)- البغطوري: المصدر السابق، ص65.

1.2- ثورة أبي يزيد الخارجي:

هذه الثّورة هي أعنف ثورة قام بها النّكارية[1] بقيادة أبي يزيد الخارجي[2] ابتداءا من سنة (322هـ/933م)، فعندما انتشرت أفكاره وكثر أتباعه، أخذ على نفسه بالحسبة على الناس وتغيير المنكر،[3] ولمّا بلغ الأمر الخليفة العبيدي القائم بأمر الله، أرسل في طلبه من عامله على قسطيليّة، وتمّ زجّه في السّجن بمدينة توزة، ولكنه تمكّن بعد فترة قصيرة من الفرار بمساعدة أصحابه، حينئذٍ شرع في التّرحال بين القبائل يستنفر أتباعه لمحاربة العبيديين.[4]

تمثّل ثورة أبي يزيد من النّاحية الاجتماعية كما يرى محمود اسماعيل، حلَقة من حلقات الصّراع التّقليدي بين البتر والبرانس، فهي من جهة تعبّر عن استقلاليّة بربر البتر من الناحية السياسية، ومن جهة أخرى تمثّل الصّراع بين سكّان البوادي وأهل القرار، كما أنها من النّاحية الإقليميّة تمثّل صراعا بين الدّولة العبيديّة والأمويّة وإن كانت جبهة هذا الصّراع هي بلاد المغرب.[5]

وتعبّر الثّورة عن السّخط الذي كان يجيش في صدور أهل إفريقية، والمغرب الأوسط، من جراء السّياسات العبيديّة الرّامية لفرض المذهب الشيعي الإسماعيلي على السّكان، وعلى السّياسة المالية الصّارمة التي كانت تنتهجها الدّولة، والمتمثّلة أساسا بالضّرائب الفادحة التي تفرضها على التّجارات والزّروع،[6] وهي التي دفعت النّاس للانخراط في الثورة ومعايشة الثائر أبي يزيد، الذي كان سبب خروجه في ما يُروى أن أبو القاسم

---

(1)- يقال لهم النجويه وهم خوارج المغرب والأندلس من الإباضية وهم جماعة يزيد بن فندين الذين أنكرو إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن أنه لم يكن إماما بالإجماع. أنظر: عبد المنعم المتقي: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب**، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999، ص.ص252.253.

(2)- مخلّد ابن كيداد بن سعد الله بن يفرن أتى الى توزر وصاحب جماعة من النكارية فاعتنق مذهبهم بعدما كان وهبيا، مات أبوه وتركه فقيرا، رحل إلى تيهرت وأقام فيها معلما للصبيان. أنظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص216.

(3)- إبن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص84؛ إبن الاثير: **الكامل في التاريخ**، مج8، ص42.

(4)- الدّرجيني: المصدر السابق، ج1، ص105.

(5)- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص177.

(6)- بوبة مجاني: **أثر الضرائب في ثوابت ومتغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية**، مجلة الدراسات التاريخية، دمشق، العدد:67.-68، كانون الثاني حزيران،1999م، ص.ص141.142.

الشّيعي لما أظهر مذهبه وأمر بالتّعذيب، والقتل، ثم هبط من جبل الأوراس يدعو إلى الحقّ كما يزعم، ولم يعلم النّاس وقد وجد دعما من فقهاء المالكية الذين أفتوا بمشروعية الخروج على العبيدين ومقاتلتهم نصرة للدين والذّود عن السنّة.[1]

إن السّياسة التي سلكها العبيديون اتجاه خصومهم، قد زادت في تأليب الناس عليهم ودفعهم للانخراط في الثّورة، فقد صوّر القاضي عياض ما كان يتعرّض له النّاس من محن شديدة على يد بني عبيد قال:" ولمّا أظهر بنو عبيد أمرهم ونصبوا حسينا الأعمى السّباب لعنه الله في الأسواق للسّب بأسجاع لقنها يوصل منها إلى سبّ النّبي... وعلّقت رؤوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس مغلقة مكتوبة عليها اسماء الصحابة"، وقد اشتد الأمر على أهل السّنة فمن تكلّم أو ترك قتل ومثل به في أيّام الثّالث من بني عبيد اسماعيل الملقّب بالمنصور[2]، سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وكان في قبائل زناتة رجل منهم يكنى:" بأبي يزيد ويعرف بالأعرج ... فقام على ابن عبيد والناس يتمنّون قائما عليها، وعلى العكس فإنّ الرّوايات الإسماعيليّة المعادية للثّورة تذكّر الثّائر بأنّه كان يسير مع البربر، ويسعيان في الفَساد على الدّولة العلويّة وتكفير المسلمين".[3]

وقد اختار أبو يزيد جبل الأوراس دارا للهجرة ومنطلقا للثّورة، لأنّها منطقة حصينة توفر له ولأتباعه الحماية، مستفيدا من موقع الأوراس القريب من إفريقيّة، كما أنّ صعوبة المسالك تقلّل من فعاليّة الجيوش النّظامية، وهو الأمر الذي حدث عندما حاول الجيش العبيدي حصار الثّائر، فاستطاع أبو يزيد فكّ الحصار وهزيمة الجيش العبيدي وفي ذلك يقول أبو زكرياء أن:" أنصاره اجتمعوا إليه وقالوا له: قد رأيت ما حل بنا ونزل علينا... ولم يبق لنا طاقة للقوم فهلاك رجل واحد أيسر من هلاك العامة".[4]

---

[1]- إبن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص216.

[2]- ولد برقادة سنة (301هـ/913م) إستفتح امره بان تولى الخلافة باطلاق المحبوسين وقتل الرجال الذين كانوا يسعون لفساد الدولة، دام حكمه سبع سنين من (334-341هـ).المقريزي: **المقفى الكبير(تراجم اغلبية ومشرقية من الفترة العبيدية)**، تحيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي ط1، بيروت،1987، ص142.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص318.

[4]- أبو زكرياء الورجلاني:المصدر السابق،ص179.

فأمر بخمسمائة ثور، يشدّ على قرن كلّ ثور حزمة من الحلفاء، رجل واحد أيسر من هلاك العامّة، وإلى جانبه حزمة أخرى واختار من رجاله خمسمائة من الشّجعان، ساقوا الثّيران حتّى إذا قاربوا المعسكر العبيدي، أشعل كلّ واحد النّار في حزمة الحلفاء فاندفعت الثّيران خاصّة في المعسكر والرّجال خلفها بسيوفهم يقتلون كل من أدركوه وكان هذا النّصر الذي أحرزه أبو يزيد كاف لجعل القبائل تتقاطر عليه من كل مكان[1]، وكلهم أمل في الغنائم والسّبي، فأغراه ذلك على إعلان الثّورة والسّير لفتح المدن فكان النّكارية يهدفون من الثّورة على العبيديّين إلى جملة من الأهداف:

– السّعي لقلب النّظام الشيعي الفاطمي الفاسد الجائر على المسلمين بحسب نظرهم وذلك باعتماد العنف المسلح لإسقاط الدولة.

– إقامة دولة المساواة النّكارية المثاليّة، يتساوى فيها جميع المسلمين، تقوم على الشّورى والمساواة، والتي كانت منشد الخوارج وميثاقهم منذ ظهورهم على السّاحة الإسلاميّة.

– استباحة الغنائم والسّبي، بحكم أن أعدائهم الشيعة هم كفار لذلك تباح أموالهم وتسبى نساؤهم[2]، وقد مرت الثورة بأربعة مراحل:

– **المرحلة الأولى:** وفيها استولى أبو يزيد على بلاد الزاب، حيث كانت الجماعات الخارجية منتشرة كما سيطر على الأقاليم الساحلية الشماليه في باجة وتونس.[3]

– **المرحلة الثانية:** تغلب فيها على عاصمة إفريقية القيروان، وبذلك دخلت الحركة الثورية مرحلة التأسيس–دولة الشورى– حيث يحقق حلم النّكاريّة الذي خاب أملهم في دولة بني رستم قبل ذلك والتي لم تحقّق الهدف الخارجي الذي ناضلوا قرونا في سبيل تحقيقه وبذلوا لذلك الكثير من الأنفس والأموال في سبيل تطبيقه.

---

[1]- المقريزي: **المقفى الكبير**، ص174.

[2]- ادريس عماد الدّين: **تاريخ الخلفاء الفاطميين**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1985، ص.ص 171.172.

[3]- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج6، ص305.

- **المرحلة الثالثة:** وفيها تمت محاصرة المهدية عاصمة الدولة الشيعية، المرحلة التي بلغت فيها الثورة ذروة اتساعها، حتى ظنّ كل الناس أن الدولة العبيديّة لم يبق لسقوطها إلا أن يتجاوز صاحب الحمار عتبة باب مصلى الإمام فيسيطر على العاصمة العصية[1].

- **المرحلة الرابعة:** وهي التي انحصرت فيها الثورة عن مدينتي المهدية والقيروان، حتى تنتهي الثورة بتبديد الجيش الثائر، وهزيمته بالأوراس، ثم ملاحقته إلى بلاد الزّاب، حيث يلقي القبض على صاحب الحمَار الذي يموت في الأسر.[2]

لقد كانت هزيمة الجيش الثّائر عائدة بلا شكّ إلى طبيعة تكوين هذا الجيش الذي تشكّل أساسًا من سكّان الجبال غير المدرّبين على فنون الحصار، كما كان هو قليل الخبرة بمكائد الحرب، فلم يستطع استثمار الانتصارات التي حقّقها، كما أنّ انكشافه على المالكيّة واستشهاد الكثير من فقهائهم قد عجّل بفشل الثّورة، لأنّ النّاس قد زالوا عنه لمّا رأوا المؤامرة التي حاكها مع أصحابه لتمكين العبيديّين من قتل فقهاء القيروان، يقول ابن عذراي:" ولما رأى أبو يزيد أنّه قد استولى على الأمر أو كاد، وأن الشيعي قد كاد يبيد، أو باد، قال لجنوده: إذا التقيتم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان، حتّى يتمكّن أعداؤكم من قتلهم، فيكونوا هم الذين قتلوهمّ، لا نحن! فنستريح منهم".[3]

قد بلغ من تهديد أبو يزيد للدّولة العبيديّة، أنّه لمّا حاصر المهديّة في زحفته الرّابعة في أواخر شوّال سنة (330هـ/945م)، وجرى قتال عظيم بين الفريقين، فخرج النّاس إليه من شدة الجوع والغلاء الحاصل في المدينة الأمر الذي دفع القائم بأمر الله لفتح الأهراء[4] التي عملها أبو المهدي وفرّق مافيها على رجاله فيما اضطرت العامّة إلى أكل الدواب

---

(1)- المقريزي: اتعاض الحنفاء، ج1، ص79.
(2)- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ج1، تحقيق: فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982، ص334.
(3)- نفسه: ص218.
(4)- الهري: هو بيت ضخم يجمع فيه طعام السّلطان، وجمع أهراء ولم يُعرف أعربي هو أم دخيل. ابن منظور: المصدر السابق، ج15، ص361.

الميتة، وغادر المهديّة أكثر سكانها وتجارها، فكان البربر يترصّدون كلّ من يخرج منها ويشقّون بطونهم طلبا للذهب.[1]

لقد كان ذلك سببا في شيوع أعمال النّهب والسّلب في إفريقية على نطاق واسع، فذهب الأمن وزال النظام، وقطعت السابلة، فخاف النّاس على أنفسهم وأموالهم، وكان أبو يزيد يروم تحقيق ذلك، حتّى تضعف سلطة الدّولة العبيدية، وتقل حصيلتها من الجبايات، والضّرائب فتتفرّق الجموع من حول القائم العبيدي، عندما لا يجد ما يقدمه من عطايا وأجور للجند والمتطوّعة.[2]

كادت تلك السّياسة التي سلكها صاحب الحمار للتّضييق على العبيديين، أن تؤتي أُكلها، لكن المفاسد التي ارتكبها أصحابه من استباحة الحرمات وسفك الدّماء، واغتصاب الأموال وإتلاف الأرزاق، واستحلال الفروج، والغدر بالمالكيّة أضعف جبهته وفكّ تحالفه.[3]

لقد خرج صاحب الحمار على العبيديّين بدعوى سعيه لإلغاء جور الائمة وظلمهم، لكنه كان بعد ان اتسعت حركته وفتح المدائن أثبتت بأن جوره أعظم من جور أعدائه، إذ تتفق الرّوايات السّنية والشيعية على أنّ أبا يزيد كان أكثر جورا في أخذ الأموال من العبيدين، فتذكر رواية شيعية أن رجلا جاء إلى أبي يزيد مستغيثا به، يخبره على أن كتامة لم تأخذ منه أربعين سنة، كان يدفع إليها الضرائب غير ألف دينار، وسجلات التى كان يحملها كانت تثبت صدق قوله، وإن ما أخذه أصحاب أبو يزيد في ساعة واحدة يزيد عن أربعة ألاف دينار.[4]

كلّ ذلك قوّضت حركته وأغرى النّاس بمحاربته، فعندما رأى أهل المدائن والقرى تفرّق عسكر أبي يزيد على هذه الحالة وقاموا يهاجمون عماله، فثار أهل سوسة ضدّ جماعة أبو يزيد وطردوهم منها رغم محاولة أيوب بن أبي يزيد ترجيح الكفّة لصالح والده، وعندها

---

[1]- المقريزي: **اتعاض الحنفاء**، ج1، ص79.
[2]- بوبة مجاني: **أثر الضرائب**، ص.ص130.129.
[3]- إبن عذاري : المصدر السابق، ج1، ص218.
[4]- بوبة مجاني: **أثر الضرائب** ، ص144.

هاجمها وأعمل فيها سلبا ونهبا وحرقا وتدميرا، إلا أنّ جيش القائم هزمه في ربيع الأول سنة (334هـ /945م) وبذلك رحل أبو يزيد وأصحابه عن المهدية، حتى فكر الثّائر من مغادرة القيروان.[1]

ثمّ أخذ أبو يزيد يتراجع أمام الهجوم المعاكس الذي شنّه المنصور العبيدي[2] وأخذ بملاحقة الثّائر جامعا حوله كلّ من يقدر على حمل السّلاح، مرغبا النّاس بملاحقة أبي يزيد حتى حاصره في جبل "كيانة"، فأمر المنصور زناتة بالإغارة على سدراته، ففعلوا ذلك وقتلوا كلّ من كان يدعم الثّائر ثمّ وقعت موقعة فاصلة بين المنصور والثّائر وفيها قتل من أصحاب أبي يزيد خلقا كثيرا حتى عرف ذلك اليوم – بيوم الرؤوس–.[3]

ففر أبو يزيد والمنصور يلاحقه حتّى ظفر به في سنة (336هـ/947م)، لكنّه مات من الجراح التي أصابته، فأمر المنصور بسلخه، وحشي جلده تبنا، وبعد عشرين سنّة من ثورة أبي يزيد عاد الخوارج إلى الثورة على المعز لدين الله العبيدي بقيادة أبي خزر يغلى بن زلتان، وأبي سعيد سنة(358هـ/969م)[4]، وكانت ثورتهم آخر إعلان للإمامة بالمغرب، ولم يعودوا بعدها إلى حمل السّلاح بسبب افتقادهم شرط الاستطاعة، وبذلك تنتهي مرحلة من مراحل الصّراع، لتبدأ مرحلة أخرى مع بني الزّيري.[5]

3- آثار الصراع وإنعكاساته على المجتمع المغربي:

لعلّ من أبرز آثار الصراع الإباضي الشّيعي في بلاد المغرب هو حدوث كثير من الإضطرابات التي ساهمت في هجرة الكثير من السكان نحو المدن وتركوا الأرياف، ما أدّى إلى حدوث مجاعات في جهات كثيرة في بلاد المغرب،"..حتى لم يبقَ في إفريقية معمور، ولا سقف مرفوع..."[6].

---

(1)- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج6، ص.ص 307.306.
(2)- المقريزي: **المقفى الكبير**، ص.ص150-152.
(3)- إبن حماد الصنهاجي: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص 14.
(4)- المقريزي: **المقفى الكبير** ، ج1، ص171.
(5)- إبن الأثير: **الكامل في التريخ**، ج6، ص 598.
(6)- المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص 158 .

وكانت لثورة أبي يزيد نتائج وخيمة على بلاد المغرب الأوسط والأوراس خاصّة حيث صارت كلّ أنحاء المغرب مستباحة للطّرفين، إذ تعرّض النّاس لقمع شديد وتصفية أموالهم خاصّة المعارضين، كما كانت سببا في التّمهيد لزوال الفكر الخارجي، الذي حمل تبعات كل الاضطرابات التي وقعت في المغرب الأوسط وإفريقية، مما جعل البقيّة منهم يبحثون عن ملجأ آمن يحتمون به بعيدا عن الصّراعات التي أضعفت وجودهم وقوّضت كيانهم فاختاروا الصحراء مستقرا وملجأً لهم.[1]

إنّ سقوط دولة الخوارج الإباضيّة على يد العبيديّين سنة (297هـ/909م) والثّورات التي حدثت بينهم، أصابت الإزدهار الإقتصادي الذي شهدته البلاد، وتفاقم الأحوال زادت سوءا لسياسة العسف الإقتصادي التي اتبعها العبيديون، ولا شكّ أنّ هذه الثّورات استنزفت جهود الطّرفين معا، فنتج عنها المزيد من الدّمار والتّخريب.[2]

ثالثا- موقف علماء أهل السّنة من الإباضيّة:

قبل الشّروع في الحديث عن موقف علماء أهل السّنة المغاربة من الإباضية، يتعيّن علينا أن نُشير إلى أن الأسباب التي ذكرناها آنفا في دواعي الصراع بين الطرفين، هي التي دعت إلى اتخاذ العلماء موقفا ضدّ الإباضية، تمثل في مقاومتهم لهذا المذهب وأهله.

ومن خلال مطالعتنا حول موضوع المقاومة، أمكننا أن نعثر على وسيلتين مهمتين اتخذهما علماء أهل السّنة في مقاومة الفكر الخارجي عامّة والإباضي خاصّة، حيث لجؤوا إلى السّلاح والقوة، إذ لم تجدي معهم الكلمة الطّيّبة والموعظة الحسنة مِصداقا لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[3].

---

(1)- إبن الأثير : **الكامل في التاريخ** ، ج8، ص.ص 306.-308.

(2)- سليمان بن الحاج داود بن يوسف: **ثورة أبي يزيد لإعلاء كلمة الله**، دار البعث ، ط1، قسنطينة، 1981، ص-ص95-99.

(3)- **سورة النحل**، الآية 125.

فتارة يلجؤون إلى تنفيذ آرائهم، والتّشهير بهم، وإعلام النّاس بسوء معتقدهم عبر الفتوى والدرس، وتارة يلجؤون إلى السّلاح، ومن هنا يمكننا أن نذكر وسيلتين من وسائل مقاومة أهل السنة للإباضية:

1- الفتوى والدّروس والتّأليف:

حيث تباينت آراء أهل السّنة عامّة، والمالكيّة خاصّة في تكفير الإباضيّة، فقال ابن رشد،[1] أن أكثر العلماء قالوا بتكفيرهم، وقال القاضي عيّاض[2]، بذهاب أكثرهم إلى عدم تكفيرهم، وتوقّف آخرون عن ذلك، وإلى هذا التّوقف ذهب القاضي أبو بكر الباقلاني[3] الذي ألّف في هذه المسألة تأليفا سمّاه " كتابُ الإجتهاد" اعتمد عليه القاضي العيّاض في تأليفه لـ"الشفا" وقد ألّف فيهم أبو حامد الغزالي[4] كتاب" التّفرقة بين الإيمان والزّندقة "، فعلى العموم قد تعامل فقهاء المغرب مع الإباضيّة بصعوبة تكفير الإنسان مادام يعتقد في الشّهادتين.[5]

وقد قال أبو مظفر الإسفراييني[6] المشهور بـ"شاه لور" في كتاب "التّبصير في الدّين وبيان مقالات فرق أهل الأهواء وفضائلها"، أنّ الخوارج متفرّقون على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة، أحدهما أنهم يزعمون أنّ عليّا وعثمان رضي الله عنهما

---

(1)- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (520-595هـ) طبيب وفقيه،نشأ في أسرة من أكثر الأسر وجاهة في الأندلس التي عرفت بالمذهب المالكي،حفظ موطأ مالك وديوان المتنبي. أنظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج21، ص307.

(2)- القاضي عياض بن موسى بن عمرون بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي(476-544هـ/1083-1149م)قاضي مالكي،العلامة والفقيه والمؤرخ الذي كان من بين الناس العارفين بعلوم عصره،يعود نسبه إلى إحدى قبائل اليمن العربية القحطانية. أنظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص213.

(3)- هو أبو بكر بن محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري الباقلاني(338- 402هـ/950- 1013م)، ذكره القاضي عياض في طبقات المالكية فقال:"هو الملقب بسيف السنة ولسان الأئمة المتكلم على لسان الحديث، وطريق أبي الحسن وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته. أنظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ج1،ص269.

(4)- أبو حامد محمد الغزالي الطويس النيسابوري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس هجري (450-505هـ/1058-1111م)، كان فقيها وفيلسوفا وكان سني الذهب على طريقة الأشاعرة في العقيدة. أنظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج19، ص 27.

(5)- حسن حافظي علوي: **الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط ، مراجعات حول الصراع السني الإباضي ببلاد المغرب**، سلسلة ندوات ومناظرات رقم157، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، 2008، ص103.

(6)- أبو المظفر الإسفراييني سماه السّبكي في طبقات الشّافعية باسم شهفور بن طاهر وفي كشف الظّنون هو طاهر بن محمد ويقال شهفور بن طاهر، عالم بالأصول ومفسر من فقهاء الشّافعية من كتابه التّبصير في الدّين وميز الفرقة النّاجية عن فرق المالكيين. أنظر: ابن عماد شهاب الدين، الدمشقي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، مج5، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت،1989، ص ص 92.91.

وأصحاب الجمل والحكمين كفروا كلّهم، والثاني يزعمون أنّ كلّ من أذنب ذنبا من أمّة محمد صلى الله عليه وسلّم فهو كافر ويكون في النّار مخلّد لا محالة.[1]

ولمّا سُئل مبارك السّجلماسي اللّمطي[2]عن بني مزاب هل هم من أمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:" إنّهُم وَكُلُّ الحَرُورِيَّة أَي الذِينَ خَرَجُوا إِلَى حَارُورَاء ثُمّ إِلَى النَّهْرَوَان، مِن أُمَّة الدَّعْوَى، لاَ مِنْ أُمَّة الإِجَابَة وَأَنّ أُمّة الدّعْوَى تَشْمُل كُلَّ مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ الرَّسُول صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمْ مِنْ إِنْسٍ وَجَان، أَجَابَ أَم لَم يُجِب، والثَّانِية خَاصَّة بمُسْتحقِّ الشَّفاعَة والدُّخُول إِلَى الجنَّة".[3]

وقد تباينت الفتاوى بتباين مواقف الفقهاء المالكيّة، في مسألة تكفير الخوارج المنوّه بها أعلاه، لكنّ أغلبها يُنمّ عن رفضهم للإباضية، وموقفهم المعادي لهم في مختلف القضايا التي نزلت في شأنها الفتوى، ويتجلّى ذلك في عدم السّماح لهم بممارسة شعائرهم وفق تعاليم مذهبهم في حال عيشهم بين أهل السّنة، وحثّ الحكام على استتابتهم، وعدم السماح لهم بمناكحتهم، وفسخ عقود المتزوّجين منهم بالسّنيات والسّماح بهدم مساجدهم وكراهة مجالستهم والسّلام عليهم وتعليم أولادهم القراءة والكتابة.[4]

ويتبيّن هذا الأمر عندما سُئل أبو القاسم السّيوري[5](ت460هـ/1068م)، عن جماعة من الوهبيّة سكنوا بين أهل السّنة، وأظهروا ممارسة شعائرهم ولما تحكّم أهل السّنة في شؤون تسيير ذلك البلد، طالبوهم بانتحال مذهب مالك وأرادوا هدم المسجد الذي كانوا يصلّون فيه، وأرادوا فسخ أنكحتهم لأن الرّجل الوهبي يتزوج المرأة المالكيّة لتقوى شوكته بمصاهرة أهل السّنة، فهل لهم ذلك؟ فأجاب يقول:" إنّ المسجد لايهدم ولكن يُخلى من الوهبيّة، ويمنع عزابتهم من الدّخول إليه ويعمّر بأهل السّنة، وإن أنكحتهم مع السّنيات

---

(1)- حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص103.

(2)- هو أبو العباس أحمد بن مبارك بن على السجلماسي اللمطي تتلمذ على يد عبد العزيز الدباغ وجمع كلامه في كتاب "الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ" واللمطي نسبة إلى قصر من صور تافيلالت جنوب شرق المغرب الأقصى. أنظر: خير الدين الزركلي: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر رجال ونساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص202.

(3)- حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص104.

(4)- نفسه: ص 105.

(5)- أبو القاسم السيوري شيخ المالكية وخاتم الأئمة بالقيروان أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث المغربي السيوري أحد من يضرب بحفظه المثل في الفقه،مات سنة460هـ .أنظر:القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص .18.

تُفسخ ويضربون إلى أن يتوبوا ويعودوا إلى مذهب أهل السّنّة قال: والقيام بذلك عين الحق".[1]

وقد تعدّدت فتاوى علماء أهل السّنة في الزّواج بين الخوارج وأهل السّنة، وسُئل عن ذلك السّيوري واللّخمي، ونقله ابن فرحون في كتابه " التبصرة " والونشريسي في " المعيار" وأكثر اعتماد هؤلاء العلماء في مختلف النّوازل المرتبطة بهذا الموضوع على جواب السّيوري المذكور آنفا.[2]

وللمزيد من التّضييق على الإباضية، والحيلولة بينهم وبين الغير منتمين إلى مذهبهم خوفا من أن يتبعونهم، أفتى علماء أهل السّنة في عدد من النّوازل، بجواز إطلاق اللّعنة عليهم ومن بينها، جواب أبو القاسم السّيوري القيرواني حين سُئل هل يُطلق على الخوارج اللعنة أم لا؟ فقال: يجوز إطلاق اللّعنة على جماعاتهم لأنهم مسلمون أهل كبائر على الصّحيح فيُلعنون كما لعن النّبي صلّى الله عليه وسلم السّارق،[3] فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبي صلّى الله عليه وسلم قال:" لعن الله السّارق يسرقُ البيضة فتُقطع يده ويسرقُ الحبل فتُقطع يده"[4]، ونهى عن لعن من عصى إذا عين.[5]

وكذلك أفتوا في عدم جواز شهادتهم، كما هو بالنّسبة لشهادة أهل الذّمة، وأمّا قول مالك إن الإباضية وغيرهم لايصلى عليهم، عارضه السّحنون بقوله:" لاأرى ذلك، وأرى أن يُصلّى عليهم ولا يتركون بغير صلاة لذنب ارتكبوه، ومَن قَال لايُصلّى عليهم فقد كفّرهم بذنبهم"[6]، ولَم يقف الإباضية مكتوفي الأيدي حيال ما مارسه عليهم الحكّام من اضطهاد وتنكيل ما إستصدره أهل السّنة من الفتاوى للتّضييق، لا بل نظّمو أنفسهم بكيفيّة تضمن

---

(1)- أبو العباس أحمد بن يحيى، الونشريسي: **المعيار المعرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، ج2، أخرجه جماعة الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط،1981، ص446.

(2)- حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص106.

(3)- نفسه: ص 107.

(4) - رواه البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله الجعفي: **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، 1422هـ ، رقم الحديث 6783، ص159.

(5)- حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص107.

(6)- الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص236.

لهم البقاء إلى اليوم وبادلوا أهل السّنة نفس الشّعور العدائي.[1]

2- المشاركة في الحروب:

أمّا الوسيلة الثّانية، تتمثّل في القوة والسّلاح، في وجه الإباضية، والمشاركة في حربهم مع جيوش الخلافة السّنية، هي أقوى الوسائل وأمضاها وأنكاها، والتي اتخذها علماء المغرب في القضاء على الخوارج، حيث شاركوا في جميع الحملات التي شنّها حكماء بني أميّة، على مواقع الخوارج المعارضين لخلافتهم، فَبالرّغم من إنكارهم الشّديد على انحرافاتهم، إلا أنّ ذلك لم يمنعهم من الالتحاق بصفوفهم، وضم جهودهم إلى جهودهم، لأن خطر الخوارج أعظم من خطرهم وشرّهم أكبر من شرّهم لأنّهم مبتدعة يرون فيما يذهبون إليه من البدع والانحرافات قربة يقتربون بها إلى الله. [2]

ولمّا كان الهدف من خروجهم قد اتحد مع هدف الخلفاء الأمويين، فقد تعاونوا ليحققوا هدفهم المشترك، وهو القضاء على الخوارج، وبذلك يفسحون لأهل السّنة نشر مذهبهم وكان هؤلاء العلماء يشكّلون أهميّة كبيرة في السّلطة، حيث كانوا هم الذين يقودون العامّة ويأمرونهم فيأتمرون وينهونهم فينتهون ممّا جعل الخلافة السّنية تعتمد عليهم، فقد دفع العامة لتحميسهم ضد الخوارج. [3]

وقد كانت أول موقعة شارك فيها العلماء هي موقعة بقدورة، التي ذكرناها سابقا، وكان لبعضهم دورا قياديا فيها[4]، فقد أدرك الخلفاء أهمّية العلماء وجهودهم في تعبئة العامة

---

[1]- حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص108.
[2]- ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص518
[3]- ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص519.
[4]- مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم**، تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص24.

ضد الخوارج، وبَرز دور علماء السنة المغاربة ضد الخوارج في مواقع أخرى ، وهنا برز دورهم عندما رفضوا الاستسلام وطفقوا يذكّرون النّاس بفضل الجهاد في سبيل الله مصداقا لقوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، ويبينون لهم سوء المذهب الخارجي للمسلمين السنيين من سبي نسائهم وأطفالهم.[2]

واستطاع العلماء أن يُعبّئوا نفوس النّاس حماس، وشجاعة، ويملؤوها حمية وفتوة، وساهموا بقدر كبير في رفع معنويات الجُيوش، ورتّبوا الأولويّات، فهم دائما يسعون إلى دفع أشدّ الضّررين، ويقول الإمام ابن حبيب[3] الذي كان يكفّر اللإباضيّة :" أيّ أن يشهد فساد ما يعتقدونه لئلاّ يسكن في قلب أحد من ضلاللتهم شيئ ".[4]

---

[1]- **سورة المائدة**، الآية 54.

[2]- ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص520.

[3]- أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي (174هـ-238م) عالم دين أندلسي مالكي المذهب، وكان أبوه يعرف بحبيب العصار،درس في الأندلس على يدي صَعْصَعة بن سلام الدمشقي والغازي بن قيس وزياد بن عبد الرحمان اللّخمي ثم رحل إلى المشرق عام210هـ ، درس علوم الفقه والحديث واللغة. أنظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص111.

[4]- الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص.ص 447.446.

الفصل الثاني: صراع المالكيّة ضدّ مخالفيهم في المذهب

أولا- صراعهم مع الأحناف

1- أسباب الصّراع المالكي الحنفي.

2- مظاهر الصّراع المالكي الحنفي.

3- نماذج من الجدل والمناظرات.

ثانيا- صراعهم مع الشّيعة.

1-أسباب الصراع المالكي الشّيعي.

2-مظاهر الصراع المالكي الشّيعي.

3-الصراع الأموي العبيدي.

ثالثا: حسم الصّراع، وتجديد المذهب المالكي.

تمهيد:

لقد قام نظام الدّولة الأغلبيّة على تبنّي كلّ المذاهب الفكريّة، وعلى تشجيعها ونشرها حتّى شاع في عهدها الاعتزال، إلى جانب المذهب الحنفي– مذهب الخلافة العباسية آنذاك – وظهر الأحناف لانتحال الأُمراء ومن والاهم من ذوي السّلطان مذهبهم، فأضحى المذهب الحنفي مذهب النّخبة منافساً للمذهب المالكي مذهب الأمّة، الأمر الذي جعل المالكيّة يقاومون أشخاصه المتطرّفين وممثّليه الذين ابتعدوا عن السّنة.

ومنذ مجيء العبيديّين إلى بلاد المغرب، شهدت على أرضها صراعاً مريراً بين المالكيّة والشّيعة الاسماعيلية، وبلغ هذا الصّراع أقصى مداه، حيث عبّر عن الخُلاصة الحتميّة والطّبيعيّة للعداء والبغض الموروث بين الطّرفين منذ أيّام الخلافة الأمويّة بالمشرق.

ويُفهم من هنا أنّ المالكيّة قد خاضوا نزاعاً مع الأحناف من جهة، ثمّ مع الشّيعة من جهة أخرى، فماهي تداعيات هذا الصّراع؟ وما هي الأساليب التي اتخذها المالكيّة في التّصدي لهذه المذاهب؟

أولاً- صراعهم مع الأحناف:

لقد كانت بلاد المغرب مجالاً واسعا لانتشار الكثير من المذاهب الفقهيّة والفرق الإسلاميّة، التي كانت تخالف بعضها البعض في المبادئ والأسس، لذا فقد قامت صراعات مذهبيّة وعقديّة فيما بينها، وامتدّ هذا النّزاع ليشمل المناصب السّياسية كالإمامة والقضاء، ونظراً لأهميتها في التّمكين للأفكار، ولم يكن فقهاء المالكيّة والأحناف في منأى عن ذلك فكان كل طرف يقاوم مخالفيه بكلّ قوّة للتّغلّب على الطّرف الآخر، فلقد كان لهذا الصّراع أسباب ومظاهر اتّخذت أشكالاً متباينة ومتفاوتة.

1- أسباب الصّراع بين المالكيّة والأحناف:

إنّ الخلاف الذي كان بين المالكيّة والأحناف، له جذور بعيدة تتجاوز إفريقية، أي أنّه انطلق من المشرق لينتقل فيما بعد إلى بلاد المغرب، حيث ساهم في هذا الخلاف ذلك التّباين بين البيئتين الحجازيّة والعراقيّة[1]. ومن هنا أتى الاختلاف بين المدرستين في المنهج الفقهي والتي كانت تغذّيها الصّراعات السّياسية من حين إلى آخر، وقبل التّطرّق في ذكر تفاصيل هذه الاختلافات والصّراعات، كان من الجدير أن نذكر نظام وسياسة الدّولة الأغلبيّة التي تبنّت جلّ المذاهب الفكريّة، والفلسفات الشّرقية، وعملت على نشرها وتشجيعها.

فنجد أنّه في عهدها وجدت المعتزلة والخوارج بفرقتيها الإباضية، والصّفرية، فكلّهم تمكّنوا وبشكل مباشر من نشر أفكارهم ومبادئهم، جنباً إلى جنب مع المذهب الحنفي، هذا الأخير كان مذهب الأمراء من ذوي السّلطان بصفة خاصّة، فأضحى المذهب الحنفي مذهب النّخبة، والذي أصبح منافساً للمذهب المالكي مذهب عامّة الشّعب، ولهذا نلاحظ أنّ من التفّ حول المذهب الحنفي هم رجال السّياسة والسّلطة،[2] لأنه وبطبيعة الحال مذهب المرونة والتّساهل في إصدار الأحكام والتّيسير في الفتوى، ومن هذا المنطلق يمكن حصر ثلاثة أسباب للصّراع بين المالكيّة والأحناف:

---

[1]- اسماعيل سامعي: **دور المذهب الحنفي في الحياة الإجتماعية والثّقافية في بلاد المغرب الإسلامي**، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص198.

[2]- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص75.

1.1- الأسباب الفقهية:

- الأولى شرب النّبيذ:

كان ظهورها مبكراً فقد عُرفت أيّام الوالي إسماعيل بن عبد الله، ولاسيما في عهد كلثوم بن عيّاض القيَاسي، وكان عبد الله بن المغيرة، من أوائل القضاة الأحناف المجاهرين بها، لقد أحلّ فقهاء الأحناف شرب النّبيذ حيث ظهرت ظهوراً كبيراً في العقد الأغلبي بفعل مؤازرة السّلطة الأغلبيّة للأحناف والتّرف الذي نتج عن التحضّر الذي عرفه المغرب.

ولهذا عندما ظهرت المالكيّة بالمغرب، اعتبرت هذه المسألة بدعة خصوصا أنّ موقف فقهاء المالكيّة منها هو التّحريم القطعي لا شبهة فيه وهذا استناداً لقوله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

واستناداً للسّنّة النّبوية، عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال:" نَزَلَ تحريمُ الخمرِ يَومَ نَزَلَ وهي مِن خمسةٍ: مِنَ العِنَبِ، والتمْرِ، والعَسَلِ، والحِنْطَةِ والشَّعير، والخمرُ ما خَامَرَ العَقْلَ" [2].

- الثّانية التّعامل بالرّبا:

إنّ هذه المسألة هي التي عمّقت الصّراع وأجّجت نار الفتنة، بين المالكيّة والأحناف، حيث تبيّن لنا من خلال الكثير من سلوكات الأحناف لاسيما القضاة، وأصحاب السّلطة أنّهم غضّوا الطّرف عن التّعامل بالرّبا في جميع المعاملات التّجارية، بل أنّ هناك من كان يُشجّع التّعامل به في عهد القضاة الأحناف، من ذلك أنّ إبراهيم الأصغر لمّا رأى ميل النّاس إلى ابن طالب القاضي المالكي، واستبشارهم بأيّامه لرُخص السّعر وارتفاع الرّبا غار ابراهيم وخشي على ملكه كونه ابن عمه فأراد إماتة اسمه، وردّ سليمان بن عمران وكان بن الأشَج هو عراقي المذهب يقول:" أَدبرُوا بينكُم مَا شئتُم من بيع حرام ثُمَّ

---

[1]- **سورة البقرة**، الآية 219.

[2]- رواه البخاري:المصدر السابق، **باب الخمر من العنب**، رقم الحديث 5581، ص105.

تَعَالُوا إليَّ أجعله لكم حلالاً " فقد تأثرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية بسبب انتشار هذه الظاهرة في المجتمع.[1]

- **الثالثة خَلق القرآن:**

مسألة خَلق القرآن، هي إحدى العناصر الأساسية في الصّراع بين الكثير من المذاهب لاسيما مذهب أهل السّنة والأحناف، بداية ظهور هذه المسألة- خَلق القرآن- كان في عهد الخليفة العبّاسي المأمون[2] سنة(212هـ/827م)، ودامت حتى سنة(236هـ/850م)، حيث منع المتوكل[3] القول بخلق القرآن، فدامت بذلك محنة خلق القرآن أربع وعشرون سنة.[4]

وقد أُثيرت هذه المسألة في بلاد المغرب بنفس الحدّة التي أثيرت بها في المشرق، وأشتدّ هذا النّقاش حول القائلين بخلق القرآن، والمنكرين لذلك وهم المالكيّة، فنجد أنّه أشتد الصّراع في عهد إمارة بن الأغلب ابن إبراهيم(242-249هـ/856-863م)، الذي اعتنق مذهب المعتزلة لكن المالكية تصدّوا لذلك بقوة.

إنّ هذه المسائل الخلافيّة دفعت بالمالكيّة إلى الوُقوف في صفوف المعارضة للسّلطة التي لا ريب أنّها ارتكبت أخطاء استغلّتها المعارضة، وكانت حافزاً لالتفاف الجماهير حول المالكية عكس الحنفيّة التي ابتعدت عنها، وبقي المذهب الحنفي مذهب السّلطة وخاصة النّخبة، ومن خلال تلك الأسباب الفقهيّة يتّضح لنا أنّ هناك أسباب للصّراع المالكي الحنفي هي السّياسة وحب الرّئاسة[5]، فهو بيت القصيد لتفسير الكثير من المنازعات والصّراعات بين المذاهب يمكن حصرها في:

2.1- الأسباب السياسية

- **تولي القضاء:**

---

[1]- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص377.

[2]- اسمه عبد الله بن هارون الرّشيد، وكان يكنّى أبا العباس في أيام الرّشيد، وكان في خلافته يكنّى بأبي جعفر تفاؤلا بكنية المنصور، ولد ليلة استخلف الرّشيد سنة 70هـ أنظر: عبد الرحمن، الجوزي: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** تحقيق: محمد عبد القادر عطار وآخرون ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1992، ص49.

[3]- المتوكل هو أبو الفضل جعفر المتوكل بالله بن محمد بن هارون الرشيد أحد ملوك الدّولة العباسية، أغتيل في سامراء سنة247هـ. أنظر: الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص127.

[4]- الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج8، ص836.

[5]- أبو العرب: **طبقات علماء تونس**، ص172.

لقد كان منصب القضاء من بين المناصب الحسّاسة في الدّولة الأغلبية، حيث تهافت الكثير سواء من المالكيّة أو الأحناف، لتولّي منصب القضاء في مقابل ذلك، هناك من تورّع عن هذا المنصب، فأبو محرز القاضي الحنفي المعتزلي، "ولاّه زيادة الله وهو مكره"[1] أمّا أحمد بن أبي محرز، الذي وُلّي القضاء بعده فكان ورعاً لم يحكم حتى مات.[2]

وهو دليل على رفضه لهذا المنصب، كما أنّ على بن زياد (ت183هـ/799م)، رفض خطّة القضاء بينما في الأخير قبلها سحنون، وهو مكره عن ذلك حيث ذكر أبو العرب عن تولي سحنون القضاء لما عزل ابن أبي جواد، قال سحنون" اللّهم ولي هذه الأمة خيرها وأعدلها "[3]، فكان هو الذي وُلي بعده.

لمّا أراد محمّد بن الأغلب أن يُولي سحنون القضاء، جمع العلماء والفقهاء للمشورة، فأشار سحنون لسليمان بن عمران، وأشار سليمان إلى سحنون، فبعث ابن الأغلب ابن قادم إلى سحنون يقول له:" إني أريد أن أستكفيك قضاء رعيتي– فاعلمه– فقال له سحنون: أصلح الله الأمير لا أقوى عليه أدلّك على من هو أقوى؟ سليمان بن عمران".[4] فلم يقبل سحنون القضاء إلاّ بعد أن وافق ابن الأغلب عن كلّ شروطه، ومن بين شروطه في تطبيق القضاء، أن يبدأ بأهل بيته وأقربائه وأعوانه فوافق ابن الأغلب عن ذلك، فنجد أنّ سحنون كان قاضياً ورعاً يحكم بالعدل يتفقّد أمور النّاس، هذا ما أثار حفيظة الكثير من الأحناف، الذين أثاروا خلافا حول خليفة سحنون فتولّى ابنه محمّد القضاء.[5]

---

[1]- أبو العرب: **طبقات علماء تونس**،ص 176

[2]- نفسه: ص176.

[3]- هو سعيد بن سعد التنوخي سحنون واسمه عبد السلام بن قاسم انتهت الرياسة إليه في العلم بالمغرب ولي القضاء بالقيروان سنة (234هـ) وصنف المدونة وعليها يعتمد أهل القيروان وعلى يدّه انتشر المذهب المالكي في بلاد المغرب توفي في رجب سنة 240هـ أنظر: أبو إسحاق، الشافعي: **طبقات الفقهاء**، تحقيق: إحسان عباس، دار الرّائد العربي، بيروت، (د.ت)، ص ص 156-157.

[4]- تولى الكتابة لسحنون إذ وليّ القضاء ثم أخرجه قاضياً إلى مدينة باجة، ولي إبن الأغلب سليمان بن عمران قضاء القيروان على مذاهب السنّة، أنظر: أبو العرب، **طبقات علماء تونس**، ص81-80.

[5]- هو محمد بن سحنون كان له علم بالفقه والحديث وكان سحنون يقول عنه: ما أشبه إلا بأشهب تفقه بأبيه ودخل المدينة توفي سنة 256هـ أنظر: الشافعي: المصدر السابق، ص ص 155-156.

لقد كان محمد بن سحنون مثل أبيه لهذا أساء سليمان بن عمران صحبة محمد بن سحنون، ووجّه في طلبه وأهانه، وكان يؤذيه بالقول، ويرى ابن سحنون أنّ فعل سليمان بن عمران كلّه لغير الله، فإن موقف سليمان من ابن سحنون يبدوا مريباً غريباً، فقد أحدث شغباً كبيراً بين النّاس، وكان أتباعه من الأحناف يستفزون مشاعر العامة فيحاولون أن يفرضوا عليها ما ينافي سنتها ومذهبها المفضل، إلاّ ابن سحنون كانت له سياسة حسنة، ومعرفة كيف يلقي الحوادث وكيف يصرفها فبفضل دهائه وصبره وإحسانه سجّل انتصاراً في صراعه ضدّ خصومه.

فمن المواقف التي كان يتميّز بها ابن سحنون أنّ:" رجلاً من العراقيّين كان يعزى به من قبل أصحابه يشتمه علانية وسراً إذا وجده مع النّاس، فشتمه يوماً في أذنه وهو في أصحابه فقال له محمد: نعم وكرامة إذا تفرغت نقضي حاجتك وبلغ ذلك الكوفيّين فاتّهموا صاحبهم وأضاعوه، وشكا حاله إلى بعض الصّالحين فدلّه على محمّد بن سحنون ثمّ سار إليه، فأصغى إليه محمد أذنه وهو يظن أنه يجرى على عادته فقال له: والله ماجئتك إلاّ تائباً منيباً فأجلسه فلما قضى مجلسه أخذه بيده وحمله إلى منزله ودفع إليه عشرين دينار ثم كتب له ثلاثين كتاباً فوصلت إليه ثلاثون جارية فأمر بيع خمس منهنّ وأصلح بثمنهنّ حال خمس وعشرين، ودفعهنّ إلى الرّجل".[1]

علاوة عن كلّ ذلك فإنّ الصّراع بين المالكية والأحناف، تواصل متخذاً أشكالاً وطرق أخرى، فهذا سليمان بن عمران يزجّ كما أسلفنا القول بسحنون في صف الخاصّة – النخبة والسّلطة– باقتراحه لمنصب القضاء، أملاً منه أن يقفد ثقة النّاس به، وتضعف شعبيّته وشعبيّة مذهبه، لكنّ سحنون يعرف كيف يقلّب المكيده لصالحه بتلبيته لمواقفه، فقام بإسناد خطّة الكتابة لسليمان بن عمران نفسه ثم استقضاه على باجة والأربس، ليقتسم معه عبئ مسؤولية القضاء ومايترتب عنها، وقد يرى البعض أن هذا مظهر من مظاهر التفاهم.[2]

---

[1]- القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، تحقيق: محمد الطالبي، الجامعة التونسية، تونس، 1968، ص173.
[2]- ابن عذاري: المصدر السابق،ج1، ص116.

فلمّا تولّى سليمان بن عمران القضاء[1]، راح يلاحق محمّد ابن سحنون حتّى ضيّق عليه وكاد يفتكّ به لولا أن أمّنه الأمير، وكلّ هذا يعبّر عن روح الانتقام المتولّدة عن الصّراع المذهبي التي يبدو أنّها السبب الأساسي.

وفي هذه الظّروف التي بدأت فيها السّلطة تضعف، أخذت المشاحنات بين الأحناف والمالكيّة تتعدّى حدود الإحترام واللّباقة في بعض الأحيان، وخصوصاً من قبل بعض العوام والسّوقة الأحناف، فقد استعمل بعضهم رجلاً وحرّضوه على سبّ ابن سحنون، فكان الرّجل،[2] إذا لقي محمداً وحده سبّه علانية وإذا لقيه في أصحابه سبّه سرّاً وفي كلّ ذلك كان محمّد بن سحنون لايرد عليه شيئاً صبراً منه عن الأذى[3].

فمن مظاهر الصّراع ما كان حول خطبة الصّلاة، أن ابن سحنون أراد أن يستبدل ابن أبي الحواجب صاحب الصّلاة، وهو كوفي بابن طالب فهو فقيه مالكي فوافق الأمير حتى تكشف مَا لمحّمد بن سحنون من دهاء يستخدمه في صراعه ضدّ خصومه فيغيضهم ويلحق بهم الهزائم.

لمّا جاءه الحضرمي بمصادقة الأمير سأله ابن سحنون، وكتم ذلك إلى وقت الخطبة ووجّه ابن سحنون في ابن طالب فأعلمه بذلك وقال له:" تهيأ، فإذا رأيت ابن أبي الحواجب قد خرج إلى المقصورة، فقم بين يديه وارق المنبر واخطُب"، فلما كان يوم الجمعة هجر إبن أبي الحواجب إلى الجامع فنزل في المقصورة، وآتى ابن طالب فركع إلى جانب ابن سحنون وسليمان بن عمران عند المنبر، فلما خرج ابن أبي الحواجب إلى المقصورة صعد إبن طالب على المنبر وتقلّد السّيف[4]، ومدّ القيّم يده إلى ثوب ابن الحواجب فجذبه، وكان سليمان بن عمران قد انغمس حينئذٍ فما راعه إلاَّ صوت ابن طالب–وكان فصيحاً– يقول:" الحمد لله الذي شكر على مابه أنعم"، فعلت سليمان بن عمران كآبة وتهلّل وجه ابن سحنون واستمر ابن طالب في خطبته وتمّت الصّلاة، فلمّا انصرف سليمان إلى منزله

---

(1) - القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1،ص598.
(2)- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص451.
(3)- الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص129.
(4)- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص87.

جمع شيوخ القيروان وأمرهم أن يسيروا إلى الأمير، ليزكوا عنده ابن أبي الحواجب ويسألوه ردّه عن الصلاة، فبلغ الخبر ابن سحنون فوجه الخضرمي فأعلمه بالأمر.

فلمّا أطلّ القوم على القصر أرسل إليهم التّنويه به وبشرف صاحبكم ! انصرفوا، فكانت أوّل نكبة لسليمان ابن عمران، ثمّ لم تزل أمور ابن أبي طالب تنمو إلى أن عزل سليمان وولّى ابن طالب قضاء افريقية مكانه[1]، ويبدوا أنّ ذلك كان من ردود فعل المالكيّة، ومكيدة من مكائدهم لاسيما أنّ السّلطة في هذا الوقت كانت تحاول الاستفادة من تناقضات المذاهب لفرض سلطتها وهيبتها[2] .

- **إمامة الصّلاة:**

إنّ الصّراع بين المالكيّة والأحناف لم يقتصر على خطة القضاء فحسب، بل شمل كذلك خطّة صاحب الصّلاة، والخطبة بجامع عقبة، فقد كان القاضي سحنون أوّل من جعل « في الجامع إماما يصلّي بالنّاس، وكان ذلك للأمراء » ويظهر أنّ سليمان ابن عمران إثر ولايته القضاء بالقيروان عيّن رجل من أصحابه في هذه الخطة، وهو عبد الله بن أبي الحواجب الحنفي، خلفاً لعبد الله بن طالب المالكي (ت275هـ/888م).

فتدخّل ابن سحنون لدى أحمد بن محمّد الخضرمي من رجال الأمير، كي يخاطب الأمير في إعادة ابن طالب إلى خطّته فيستجيب الأمير لذلك[3]، وفي هذا هدم لما أدخله سحنون من إصلاح، وهو تعيين صاحب الصّلاة من طرف القاضي، ثم ارتقى ابن طالب في مرحلة لاحقه لخطة القضاء في المرة الأولى، لم يخف علماء الحنفية استبشارهم بذلك فظهر بن منصور عندما بلغه الخبر " كان بداره شبيه بالعرس فرحاً".[4]

---

[1]- القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص ص 180-181

[2]- اسماعيل سامعي: مرجع سابق، ص ص 204-205.

[3]- نجم الدّين الهنتاتي: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ-11م**، منشورات خير الزعان، تونس، 2004، ص119.

[4]- الخشني: المصدر السابق، ص113.

ويمكن إضافة سبب آخر لتفسير هذا الصّراع، ويتعلّق بوقوع هؤلاء العلماء سواء من المالكيّة أو من الأحناف في حبال رجال السّياسة، إذ أن الأمراء تلاعبوا على اختلافاتهم واستغلوها لجعلهم يتصارعون فيما بينهم، وهم ينظرون إليهم من بعيد، والهدف من ذلك إضعافهم وجعلهم يطلبون من الأمراء الحماية، ومن هنا السّيطرة عليهم[1].

2- مظاهر الصّراع بين المالكية والأحناف:

لقد اتّخذ الصّراع ببلاد المغرب أشكالاً ومظاهر تعلّقت بمجموعة من القضايا السياسيّة، والتي تمس السّلطة بالدّرجة الأولى، كالقضاء، وإمامة الصّلاة، وهناك مظاهر فكريّة تجلّت في الجدل والمناظرات، التي كانت تنعقد بين المالكيّة والأحناف، وانتشار حركة التّأليف، ومن هنا ذكر بعض هذه المظاهر ولعلّ أبرزها:

1.2- المظاهر السياسية:

فمن مظاهر الصراع بين الأحناف والمالكية ما يتعلّق بمحل تعاطي خطّة القضاء فقد ذكر ابن ناجي في إطار حديثه عن السّحنون أنه:" كان يجلس في بيت جامع بناه بنفسه، إذ رأى كثرة الناس وكثرة كلامهم فكان لا يحضر عنده غير الخصمين، ومن يشهد بينهما وكان قضاة المالكية يحكمون فيها من بعده، فإذا ولى عراقي هدمها وإذا ولى مدني بناها[2]، والمعاندة هنا في الحقيقة ليس على البيت في حد ذاته، بل هو اختلاف في نوعية الجلسات القضائية فالمالكية يريدونها سريّة، بينما يلح الحنيفة على علانيتها[3].

وهناك مظهر من مظاهر الصّراع بين المالكية والأحناف، نورد منها تبادل الشّتائم ومنع المخالفين من حضور دروس بعض العلماء، وكذلك المناظرات والتآليف ومن ذلك أن رجلاً من العراقيين الأحناف أغاره أصحابه كي يشتم ابن سحنون علانيةً وسراً.

---

(1) القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص210.
(2) الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص88.
(3)- نجم الدّين الهنتاني، المرجع السابق، ص221.

وهذان المثالان يهمّان على التوالي ظاهرتي الشّتم ومنع حضور دروس بعض العلماء وأصحابه يُسيؤون إليه، لهذا كان سحنون يقاوم سليمان ويكيد لهم سياسته الناجحه وذكائه الحاد، فبعد أن أفلت من قبضة سليمان وحظى بأمان الأمير وحمايته وقامت رئاسته وأخذ في معاكسة خصمه اللّدود والانتقام منه ومن أتباعه[1].

2ـ2 المظاهر الفكرية :

تجلّت مظاهر الصّراع بين المذهب المالكي والحنفي، بحيث ساهم في تذكية هذا الصّراع أنّه رُوي عن مالك أنّه قال في أبي حنيفة: " إنّه شر مولود ولد في الإسلام وأنّه لو خرج على هذه الأمة بالسيف كان أهون"[2]، ويظهر أنّ أصحاب أبي حنيفة لم يسكتُوا عن ذلك، بل إنّهم حاولوا ردّ الفعل، من ذلك أنّ أبا يوسف تعمّد إيقاع مالك في فخ أمام الخليفة هارون الرّشيد، فغضب مالك قائلاً للخليفة:" سفيه سأل عن مسائل السفهاء توليه على أمور المسلمين؟"[3].

ومن جهة أخرى سعى مالك إلى إبراز فكرة مفادها، أنّ المدرسة الكوفيّة هي تابعة لمدرسة المدينة وأنّ العلم الصّحيح هو لدى المدنيّين، من خلال ما أثّر عنه فيما يخص عبد الله بن مسعود، أحد أبرز رجال المدرسة الكوفية فقد كان هذا الأخير يتراجع عن بعض من فتاويه التي كان يُسأل عنها بالعراق، إثر قدومه إلى المدينة حيث العلم الصحيح[4]، إلاّ أن الحنفيّين من أهل الكوفة كذّبوا هذه الفكرة، بل أنّهم رموا أهل المدينة بقلّة العلم، من ذلك أنّ شاعرا حنفيّا من أهل الكوفة هجا أبا سعيد الرّازي[5]، الذي يفضّل أهل المدينة وسماه شرشير :

---

(1)- المالكي: المصدر السابق،ج2، ص ص354-355.
(2)- نجم الدين الهنتاتي: المرجع السابق، ص116.
(3)- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**،ج1، ص 222
(4)- نفسه: ص62.
(5)- الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج13، ص2511.

هاذي مسائل لا شرشير يحسنها..... إن سيل عنها ولا أصحاب شرشير

وليس يعرف هذا الدّين نعلمه..... إلا حنيفة كوفية الـدّور..

ومن المؤكد أن أهل إفريقية كانوا بين المذهبين الحنفي والمالكي[1]، ولهذا كان نوع من الصّراع الفكري.

2-2-1 المجالس والمناظرات:

إنّ المناظرات التي كانت بين الأحناف والمالكيّة، تعكس لنا مدى الصّراع الفكري الذي كان بين المذهبين، فالمناظرات هي علم آداب البحث وموضوعه الأدلّة[2].

وقد كانت هناك العديد من المناظرات بينهما، وكانت تعقد مجالس خاصّة في دور الأمراء والحكام وبيوت الحكمة، والمكتبات، والجوامع يحضرها الحكّام والعلماء، وبعض العامّة من مختلف المذاهب، وكانت أخبارها تتناقل عبر أنحاء المغرب، وأحياناً تتعدّى حدودها إلى الأندلس والمشرق، يتبارى فيها رجالات العلم، وأصحاب المذاهب الفقهيّة، والعقديّة فدلّ ذلك على مستوى رفيع من النّضج الفكري الذي بلغه المجتمع في تلك العصور، والملاحظ أنّ جل المناظرات لم تنقل بل نقلت شكلاً لأن أغلب من كتبوا عنها قصدوا إظهار تفوق مذهبهم ورجاله على بقية المذاهب الأخرى ورجالها[3].

وقد أدّى المالكيين والأحناف دوراً فعالاً في هذه المناظرات، ومن أقدم مناظراتهم هي التي قامت بين ابن فرّوخ الحنفي المغربي وزفر صاحب أبي حنيفة الذي حضرها وقال لزفر لمّا إزدرى ابن فروخ " لا خفف الله مابك"[4]، وفي إفريقية ناظر أبا محرز القاضي الحنفي في حضرة الأمير الأغلبي وكان الذين يشاركون في المناظرة على درجة كبيرة من العلم، وسعة المعرفة والخلق والتّسامح، وقد كانت هذه المناظرات تدور مواضيعها حول

---

(1)- إسماعيل سامعي، مرجع سابق،ص25.

(2)- ابن القيّم الجوزية: **مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة**، ج2، تحقيق: حسان عبد المنّان الطبي، دار الجيل، بيروت، 1994.ص98

(3)- القاضي عياض: **ترتيب المدارك** ، ج1، ص342.

(4)- نجم الدين الهنتاتي: المرجع السابق، ص23.

حدود الشّرع مثل القياس وأمور فقهية مثل الرّبا ، وشرب النبيذ، وخلق القرآن.

بحيث كانت هناك مناظرات بين المالكيّة والاحناف، أصول الفقه لاسيما أنّ المذهبين يختلفان في بعضها، مثل العمل بالحديث الذي تختصّ به المالكيّة، والرّأي والقياس الذي بالغت في الأخذ به الحنفيّة.[1]

فقد كانت المسائل الكلاميّة، من أهم ماطُرح في الكثير من المجالس والمناظرات لاسيما بين أهل السنة والشّيعة، كما سيأتي ذكرها في الفصل القادم، وقد أشارت المصادر[2] إلى بعض المناظرات خاصّة التي اشترك فيها الأحناف والمالكيّة، فمن ذلك المناظرة التي قامت بين ابن عبدون،[3] ومحمد بن سحنون في مسألة الإيمان، كما كان لابن عبدون القاضي الحنفي مناظرات مع المالكيّين، لم ينهج فيها النهج العلمي وذلك لتعصّبه ولجوءه إلى اتهام مناظريه، مستغلاً منصبه ومنزلته لدى الأمير الأغلبي إبراهيم الأصغر (289هـ/902م)، الذي كان شديد الإعجاب به.

2.2.2- إنتشار حركة التّأليف:

لقد أدّى ظهور الفرق المخالفة لأهل السّنة بالعلماء والفقهاء إلى الرّد عليها عن طريق التّأليف، حيث وصلتنا بعض العناوين لكتب، ألّفها علماء من المالكيّة لمناقضة الحنفيّة، من ذلك مثلاً كتاب في الرّد على الشّافعي وعلى أهل العراق لمحمّد سحنون، وكتاب في تحريم المسكر، وكتاب تحريم النّبيذ لنفس المؤلّف، وانفراد النّبيذ بكتاب لدى ابن سحنون، هو دليل واضح على أنّ هذه المسألة شدّت انتباه المالكيّة بإفريقيّة، بما أنّهم يحرّمون المسكر كلّه بينما يحلّل الحنفيّة بعضاً من أنواعه دون أن يؤدّي هذا الخلاف إلى التّعذيب والاضطهاد[4].

---

[1]- نجم الدين الهنتاتي : المرجع السابق ، ص283

[2]- من بين المصادر التي تحدثت عن الجدل والمناظرات : أنظر:الدباغ: **معالم الإيمان**،ج3،ص98؛ الخشني: **طبقات علماء إفريقية**، ص202 .

[3]- هو أبو العباس ابن عبدون القاضي كان حافظاً لمذهب أبي حنيفة، وكان موثقاً كاتباً للشّروط والوثائق، ولاّه إبراهيم بن أحمد القضاء ثم عزله. أنظر: الخشني: المصدر السابق، ص74.

[4]- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص75.

3 ـ نماذج من الجدل والمناظرات بين المالكيّة والأحناف:

من بين أهمّ وأعمق المناظرات التي قامت بين المالكيّة والأحناف، هي التي قامت بين ابن عبدون، وابن طالب(ت275هـ/888م)[1]، في شأن الوصايا، فسأله ابن عبدون عنها فقال له ابن طالب: فما أنكرت من فعلي فيها قال: تعطي منها عطاءا كثيراً للواحد فتغنيه، فقال ابن طالب: قد فعله صلى الله عليه وسلّم، قال ابن عبدون: تشبه أفعالك بفعل عمر؟ فقال ابن طالب: فإذا كان النّبي لايهتدي وبعمر لايقتدي وبالأمير لايؤتنس فبمن إذا ياهذا؟ [2].

لقد نشطت المناظرات أيام الاعتزال بالمغرب بإفريقية، وكانت موضوعاتها حول عدد من المسائل أبرزها مسألة خلق القرآن التي دارت بين المالكيّة والأحناف، الذين تبنّوا الفكر الاعتزالي، وهنا يُمكن أن نقول أنّ المناظرات مع المعتزلة، هي نفسها المناظرات مع الأحناف في معضمهما، من ذلك إستعانة زيادة الله الأول، بجليسه العنبري الحنفي (ت260هـ/874م)[3]، لمناظرة الجعفري (ت299هـ/814م)[4]، السّنّي المالكي الذي كان ينكر القرآن مخلوقاً.

كما تناظر في ذلك أبو سلمان النّحوي الذي كان يقول بخلق القرآن ويذهب مذهب الاعتزال، ومحمّد بن سحنون، فسأله هذا الأخير:" أرأيت كلّ مخلوق هل يذلّ لخالقه؟ وانتظر الحاضرون جواب الشّيخ وقتا طويلا دون جدوى، وسُئل ابن سحنون عن معنى سؤاله فقال إن قال كلّ مخلوق يذلّ لخالقه فقد كفر، لأنّه جعل القرآن ذليلاً ولأنه يذهب إلى أنه مخلوق وقال عزّ وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ

---

[1]- اسمه عبد الله بن طالب بن سفيان من بني الأغلب أمراء القيروان ثقفه سحنون وكان من كبار أصحابه وكان حريصاً على المناظرة ويحب المذاكرة في طلب العلم. أنظر: القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص207.

[2]- نفسه: ص288.

[3]- هو محمد بن تميم القصطلي العنبري من أهل قصطيلية، كان ثقة، سمع من أنس ابن عياض كثيراً ومن عبد الله بن وهب، توفي سنة تسعين ومائتين. أنظر: القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص288.

[4]- نفسه: ص444.

لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [1] وإن قال لا يذل فقد رجع إلى مذهب أهل السّنة لأنّه يذهب في هذه الحالة إلى أنّه مخلوق الذي هو صفة من صفاته[2].

ونذكر كذلك من بين المناظرات التي كانت بين الأحناف والمالكيّين هي التي ناظر بها الأحناف أبا عثمان سعد بن الحداد المالكي الذي كان يعظّم مالكاً، ويُسيء لرأي أبي حنيفة وأصحابه، وعبّر عن ذلك بقوله: " وذكرت أشياء من ذلك فعارضني بعض أحداث العراقين" [3] أي صغارهم في الرّأي، وهو ضرب من التّحقير، وقد ناظر ابن حدّاد العراقيين في المعلّم والمتعلّم فسأل أحدهم: «المعلّم يكون أعلم من المتعلم؟ فقال العراقي: نعم، قال: أليس المتعلم يكون محتاجاً إلى المعلم؟، فقال العراقي: نعم...وتستمر المناظرة على هذا المنوال حيث تتطرق إلى العديد من القضايا مثل نكاح المشركات والمحصنات والميراث والكلام.... »[4]

ثانياً– صراعهم مع الشيعة:

لقد عانى سكان بلاد المغرب منذ مجيء العبيديّين من سياسة الظّلم، ومن انحرافات الشّيعة، فكان لهذا ردّ فعل عنيف عبّر عن مدى غضب النّاس من السياسة المذهبية التي طبقها الإسماعيليون منذ بداية عهدهم، والتي نتج عنها صراع مذهبي حاد ومقاومة عنيفة خاصّة من طرف المالكيّة.

1ـ أسباب الصّراع بين المالكيّة والشّيعة:

تبدوا أسباب الصّراع المذهبي بين المالكيّة والشّيعة في جملة من مظاهر انحراف

---

[1]- **سورة فصلت**، الآية42.
[2]- القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص ص401-402.
[3]- الخشني: المصدر السابق، ص205.
[4]- نفسه: ص203.

الشّيعة والتي أدّت إلى قيام المغاربة عليهم فضلاً عن الانحرافات العقديّة التي تتعلّق بالعبادات والنّبوة، وبالنّظر للسّلف الصّالح ومن بين هذه الأسباب:

أنّ المعتقدات التي أظهرتها الشّيعة الإسماعيليّة من تطرّف، وغلوّ، وماسنّوا من تعاليم أجبروا النّاس على اعتناقها واتباعها، فهذا هو السبب الأساسي للصّراع، وهذا مبني على ماسمع عن الشّيعة من بِدَعٍ،[1] فحسب مايروي ابن عذاري:« أنّ عبيدالله[2] بمجرّد وصوله من سجلماسة إلى القيروان في شهر ربيع الثاني سنة (297هـ/910م) أظهر تشيُّعه القبيح بسبِّ أصحاب النّبي صلى الله عليه وسلم، وأزواجه، وحكم بكفرهم وارتدادهم عن الإسلام بعد وفاة الرسول عليه الصّلاة والسلام، ولم يستثنِ منهم إلاّ علياً وبعضاً قليلاً ممّن أيّدوه وناصروه » [3]

فسبُّ عبيد الله لأصحاب النّبي وأزواجه أثار علماء أهل السّنة، وجعلهم يتَّخذون موقفاً ضدَّهم، ولم يتوقَّف الأمر على هذا الحَدّ، بل تعدَّاه إلى أكثر من ذلك، ومن بين أسباب الصّراع أيضاً هو إدّعاء عبيد الله بالنّبوة، فهو يرى نفسه قد اعتلى عرشها[4]، بالإضافة إلى غلّو بعض الدّعاة العبيديّين في المهدي حتى أنزلوه منزلة الإله، وأنّه يعلم الغيب وأنّه نبيّ مُرسَلْ[5].

وادّعى ذلك لغير الله فوقع في الشّرك، قال تعالى﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.[6]

وقد أمر عبيد الله بأن يُذكر اسمه في الخُطبة، فقام دعاته بإخطار النّاس بالعُنف لاعتناق المذهب الإسماعيلي، ومن يأبى ذلك يُحبس ويقتل حيث قتل جماعة من العلماء الذين رفضوا أن يعترفوا بأنّهُ رسول الله، ومثال ذلك، أنّهُ أحضر فقيهين من فقهاء القيروان

---

[1]- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص189.

[2] - هو أبو محمد عبيد الله المهدي أوّل من الخلفاء العُبيديين الذين قلبوا الإسلام، وأعلنوا الرفض وأبطلوا مذهب الإسماعيلية، إدّعى أنّه فاطمي من ذرية جعفر الصّادق، امتدت دولته مدة خمسة وعشرون سنة (ت322هـ/934م). أنظر: ابن خلّكان: المصدر السابق، مج3، ص117.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق،ج1، ص159.

[4]- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص190.

[5]- ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص45.

[6]- **سورة الأنعام**، الآية 59 .

المالكيّين، أحدهما يقال له ابن هُذِيلْ[1] والآخر ابنُ البردون[2] فبينما هو جالس على كرسي ملكه أوعزّ إلى أَحدِ خَدَمِهِ فقال للشيخين:" أتشهدانِ أنَّ هذا رَّسُولُ الله، فقالا بلفظٍ واحد: والله لو جاءنا هذا والشمسُ عن يمينهِ، والقمرُ عن يسارِه، يقولانِ إنّهُ رسولُ الله ماقلنا ذلك فأمر بذبحهما"[3]وأمّا زعم دعاة عبيد الله في أنه إله يظهر في أفعال دُعاته وأقوالهم.

فقد شبّه شعراؤهم المهديّة بمكّة المكرّمة، فهذا أحد شعرائهم يقول في المهدية بعد إنتقال المهدي إليها:

ليهُنك أيُّها الملك الهمّـــــام قُدُوم فيه للدّهرِ إبتســـامُ

لقدْ عضمت بأرض العرب دارُ بها صلواتُ تقبلُ وصيــامُ

هــي المهدية الحرم الموقّـــــى كما بتهامة البلد الحـــرامُ[4]

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنّ من جاؤوا من بعد عبيد الله من أحفاده كالمعزّ لدين الله[5]، الخليفة الرّابع بإفريقية، فقد تألّهوا فعلاً وادّعوا الرّبوبية علانية، واتصافهم بهذه البدع والخوارق، إنّما هو ناتج عن تأثرهم بالفلسفة الإغريقية، وغدى مذهبُ العبيديّين خليطاً من الدّين والفلسفة[6].

إضافة إلى ذلك فإنّ الشيعة قد منعوا الفتوى بمذهب مالك، وقصروها على المذهب آل البيت، واعتبروا الإفتاء بمذهب مالك جريمة يعاقب عليها بالضّرب والسَّجن والقتل أحياناً، حيث يُدار بالمقتول في أسواق القيروان وينادي عليه **<<** هذا جزاءُ من يذهبُ مذهب مالك**>>**[7]، كما فعلوا بالفقيه أبو عبد الله بن العبّاس المعروف بالهزلي، ومنعوا المالكيّين

---

[1]- هو أبو بكر ابن هذيل ابن عبد المالك ابن اسماعيل ابنُ نويرة التميمي، ولد عام 305هـ/ م)، أديب، وشاعر، وفقيه، رحل إلى المشرق، وزارة مصر، وبغداد، ومكّة، وسمع من أحمد بن خالد، توفي سنة (389هـ/999م). أنظر: عبد الله بن محمد، ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج1، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص195.

[2]- هو الإمام الشهيد المفتي أبو إسحاق ابن البردون الضّبي مولاهم الافريقي المالكي، تلميذ أبي عثمان الحداد، أنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج14، ص215.

[3]- نفسه: ص217.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص284.

[5]- هو المعز لدين الله أبو تميم وُلد بالمهدية في رمضان سنة (319هـ/931م) وعهد له والده بالخلافة بعده، وجلس على سرير المُلك في ذي الحجة من سنة341هـ وهو الخليفة العُبيدي الرابع الذي حكم الشمال الإفريقي. أنظر: محمد علي الصلابي: **الصراع بين أهل السّنة والرّافضة**، مكتبة التّابعين، القاهرة، 2007،ص66.

[6]- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص191.

[7]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص159.

من التّدريس في المساجد ونشر العلم والاجتماع بالطُّلاب، فكانت كتبُ السّنة لا تُقرأُ إلاَّ في البيوت خوفاً من بني عبيد، فكان أبو محمد بن التبّان[1] يأتي إلى أبي بكر بن اللّبّاد شيخ السّنة بالقيروان في خفية، ويجعل الكتب في وسطه حتى تبتل بالعرق خوفاً من بني عبيد[2].

كما عمل العبيديّون على إزالة آثار بعض من تقدّمهم من الخلفاء السّنيين، ولذلك أصدر عبيد الله أمراً بإزالة أسماء الحكام الذين بنوا الحصون والمساجد وجعل إسمه بديلاً عنهم، واستولى هذا الرّافضي على أموال الأحباس وسلاح الحصون وطرد العبّاد والمُرابطين بقصر زياد الأغلبي وجعله مخزناً للسّلاح، وحرصوا على التّجمعات خوفاً من الثّورة والخروج عليهم، ولذلك جعلوا بوقاً يضربونه في اللّيل، فمن وجد بعد ذلك جعلوا يضربونه ويفرّقون النّاس الذين يجتمعون على جنازة من يموت من العلماء[3].

2ـ مظاهر الصّراع بين المالكيّة والشّيعة:

اشتدّ الصّراع بين المالكيّة والشّيعة خاصّة في أيّام الدّولة الأغلبيّة فكان الصّراع بينهما سجالاً، وكان لعلماء وفقهاء المذهب المالكي دوراً بارزاً فيها، فقد كانت الأسباب التي ذكرناها سابقاً كفيلة بسخط هؤلاء العلماء، وقد تمثلت مظاهر الصّراع المذهبي في بلاد المغرب من خلال الصّدام المسلّح، فقد نشبت حروب بين المذهبين واختلفت باختلاف أهدافها فهي في مجموعها ثورات شعبية قامت كردّ فعل للوقوف في وجه سياسة عبيد الله الجائرة واختلفت هذه الثّروات من عهد خليفة لآخر.

1.2- المظاهر السياسية:

تمثّلت مظاهر الصّراع المذهبي- المالكي،الشيعي- السّياسية في جملة من الحروب

---

(1)- هو أبو محمد عبد الله بن اسحاق التّبان، كان من العلماء الرّاسخين، والفقهاء المبرزين، ضربت إليه أكباد الإبل من الأقطار بعمله بالذّب عن أهل السنّة، برع في علوم شتّى منها علوم القرآن. أنظر: القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص517.

(2)- الحسن بن محمد شواط: **مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الاسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، ج1، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411هـ، ص76.

(3)- المالكي: المصدر السابق، ج2، ص56.

والنّزاعات، فقيام الدّولة العُبيديّة في حدّ ذاته ثورة وانقلاب في التّاريخ الإسلامي، ذلك أنّ نجاح الإسماعيليّة في إقامة دولة شيعيّة ببلاد المغرب، جاء بعد محاولات طويلة فاشلة، قام بها الشّيعة بمختلف فرقهم، منذ الخلافة الأمويّة بالمشرق للظّفر بالحكم[1]، وكان لهذا النّجاح الذي أحرزه الشّيعة آثاراً حاسمة في تقرير مصير بلاد المغرب، فقد حملوا حقدهم الدّفين وعدائهم القديم لأهل السّنة وللجماعة خاصّة المالكيّة، فبدأ النّزاع بين هذه القوى منذ قيام الدّولة العُبيديّة[2].

1.1.2- الدّولة العُبيديّة والنّزعة التوسُّعية:

لمّا قَوِيَ أمر أبي عبد الله الشيعي[3] زاد خطره، ففي سنة(298هـ/902م) انشغل ببسط نفوذه على كتامة، وأحسّ الأميرُ إبراهيم ابن أحمد الأغلبي[4] بهذا الخطر الشّيعي لكنّه توفي في هذه السّنة، الأمر الذي ساعد أبا عبد الله الشيعي على نشر الدّعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب عن طريق القوة[5].

ولم يستطع آخر أمراء الأغالبة زيادة الله الثالث(290-296هـ/903-909م) الصّمود أمام أبو عبد الله الشيعي وجيوشه، فقد زحف هذا الأخير إلى مدينة ميلة[6] وشنّ عليها عِدّة غارات، وقاتل أهلها قتالاً شديداً ثم مكنّها بالأمان[7].

ثمّ زحف إلى بلدة طبنة[8] وأغار عليها سنة (292هـ/904م)، واستمرت الوقائع والحروب بين جموع الشيعة والأغالبة بنواحي كينونة، وقد كان النّصر فيه للشّيعة

---

(1)- عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2005، ص345.

(2)- حسن إبراهيم حسن: **عبيد الله المهدي، إمام الشيعة الإسماعيلية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1947، ص170.

(3)- أعلن ولادة للأئمة العلويين الإسماعيليين، نشر دعوته بالمغرب الإسلامي، ويعتبر من مؤسسي الدولة العُبيدية، أنظر:علي حسن الخربوطي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطية**، المطبعة الفنية الحديثة، (د.م)، 1972، ص5.

(4)- إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب أبو العباس، كان عالماً باللّغة، وكان أبوه والياً على صقلية سنة إحدى وعشرين ومائتين، استقام له أمرُها طول عمره بها. أنظر: إبن الأبار: **الحلّة السّيراء**، ج1، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985، ص177.

(5)- سامية مصطفى مسعد: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط1 ، (د.م)، 2000،ص61.

(6)- بالكسر ثم بالسكون واللام مدنية صغيرة بأقصى إفريقية بينها وبين بجاية ثلاثة أيام وبينها وبين قسنطينة يوم واحد. وليس لها غير المُزْدرعْ. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج5، ص244.

(7)- سامية مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص61.

(8)- بضم أوله ثم السّكون، ونون مفتوحة. وهي أعجمية ومثلها في العربية، الطّبنة لعبته للأعراب وهي خطة يخطونها مستديرة وهي بلدة في طرف إفريقية. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج5، ص21.

الإسماعيلية ويومئذٍ حشد زيادة الله الثالث جموعه وفَيَالِقَهُ وجمعهم كلّهم تحت قيادة حاجبيه أبي المقارع ومعه شبيب القمّودي، وخفاجة العبسي يُعاضدانِه، وخرجت الكتائب سنة(293هـ/905) لمقاتلة كتامة المماثلة يومئذً للعدوّ، فكانت هناك وقائع حربيّة هائلة وصراعات قتل فيها عدد عظيم من كلاَ الطرفين[1].

وبعد أن زحف الشّيعي إلى طُبنة، استولى على قرطاجنّة،[2] وبلزمة، وتمكّن من الإستيلاء على قفصة،[3] وأوقع الهزيمة بجند زيادة الله بن الأغلب في موقعة كينونة، كما استولى على الأربُس[4]، ثم توجّة لاقتحام مدينة رقادة[5] ليعتبر بها عرش الاسماعيلية، ولما اقترب من القيروان توجّه إليه بعض من الشيوخ والفقهاء يطلبون منه الأمان، فأمنهم وقد دخل رقادة سنة(296هـ/910م)، وذلك حسب ابن عذاري:" في سبعة عساكر عدد من فيها ثلاثمائة ألف بين راجل وفارس، وقد استاء الكتاميّون من إعطاء الأمان لأهل القيروان، لأنّ الشّيعي وعدهم من قبل بأن يطلق أيديهم". [6]

وبذلك أخفق زيادة الله في وقف المدّ الشّيعي، على الرّغم من محاولاته في تحريض فقهاء إفريقية على العبيديّين، وبعد سقوط الأربس فرّ إلى طرابلس ومنها إلى مصر، ففلسطين، وبايع الأغالبة ابن عمه ابراهيم ابن أبي الأغلب، ولكن الناس ثاروا عليه واضطروه للخروج من العاصمة، ودخل العبيديّون القيروان ثم رقادة، وبذلك سقطت الدولة الأغلبية سنة(296هـ/0910م)[7]

ولمّا سيطر الشّيعي على الأوضاع عيّن محمد بن عمر المروزي[8] على القضاء وأمّن

---

(1)- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995،ص200.

(2)- بالفتح ثم السكون، وطاء مهملة وجيم ونون مشدّدة، وقيل اسمها قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها وهي بلد قديم من نواحي إفريقية. أنظر ياقوت الحموي : المصدر السابق، مج6، ص323

(3)- بالفتح ثم بالسكون وصاد مهملة وهي اسم بلدة أعجمي وهي بلدة صغيرة بطريق إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزّاب الكبير بينها وبين القيروان ثلاثة أيام. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1، ص134.

(4)- بالضّم ثم السّكون والباء موحده مضمومة وسين مهملة، مدينة وكورة بإفريقية وكورتها واسعة وأكثر غلتها الزعفران، وبها معدن جديدا بينها وبين القيروان ثلاثة أيام. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1، ص136.

(5)- هي بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام. وكان دورها أربعة وعشرين ألف ذراع وأربعين ذراعاً وأكثرها بساتين ولم يكن بإفريقية هواء أطيب من هوائها. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج4، ص55.

(6)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص150.

(7)- مرمول محمد الصالح: **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983، ص50.

(8)- الشيخ أبو علي محمد بن عمر بن شبوية الشبوي المروزي، سمع الصحيح سنة ست عشرة وثلاث مائة من أبي عبد الله الفربري وكان من كبار مشايخ الصوفية. أنظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج16، ص423.

بعض من بقي بالقيروان من بني الأغلب، وأمر بقتل البعض من رجالهم ومواليهم[1] وأرضى الكتاميّين حيث أقطعهم الهبات، ولمّا جاءهم عبيد الله المهدي أعطاهم من جواري زيادة الله[2]، ثمّ بادر إلى غرس مذهبه الإسماعيلي وفرضه، وقام بإسقاط صلاة التراويح[3] وأمرهم بزيادة عبارة "حي على خير العمل" اقتداءاً بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[4].

وفي سنة(299هـ/913م)، قامت ثورة بكتامة تعود أسبابها إلى أنّ بعض الكتاميّين الموجودين بالقيروان الذين كانوا يسألون المهدي أن يطلق أيديهم في أموال القيروان، فلم يفي بوعد، إلى أن ضاق بهم ذرعاً، فقاموا عليه وقتلوا عدداً كبيراً منهم، وبلغ عدد القتلى ألفاً وأكثر حتى ركب والي القيروان أحمد بن أبي خنزير[5]، وسكّن الفتنة ثم أمر بتغييب القتلى، وإثر ذلك التحق من بقي من الكتاميين ببلادهم وأقاموا زعيماً لهم، وأظهروا الخلاف على المهدي[6].

وتمثّل ثورة طرابلس التي ذكرناها سابقاً بين الإباضية والشيعة، ثورة مبكرة ضد العبيديّين فهي تعبّر عن رفض أهل طرابلس للحكم العبيدي، والتي كان للعلماء والفقهاء المالكيين دوراً كبيراً فيها من أجل مواجهة الفكر الشيعي الإسماعيلي[7]، فقد ثار النّاس بطرابلس على عبيد الله المهدي وهبّت أهالي القيروان في وجهه، وخالفه أهل صقلية وأهالي بعض مدن افريقية، حيث انضمت إليها كثير من القبائل البربرية مثل زناته ولمّاية[8].

وكانت أشدّ الثّورات خطراً على بني عبيد، تلك الثّورة التي أشعل نارها أتباع أبي عبد الله الشّيعي المخلصين للكتاميين[9]، إلاّ أنّ المهدي تمكّن من إخمادها، وعمل على إشغال

---

(1)- مرمول محمد الصالح: المرجع نفسه، ص51.
(2)- فرحات الدّشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ص117.
(3)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص92.
(4)- صالح محمد مرمول: المرجع السابق، ص51.
(5)- حسن بن أحمد بن أبي خنزير كانت ولايته من قبل المهدي وصل إلى صقلية في العاشر من ذي الحجّة سنة سبع وتسعين ومائتين، ثاربه أهل المدينة سنة ثمان وتسعين وقبضوا عليه. انظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص216.
(6)- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص211.
(7)- محمد علي الصلابي: المرجع السابق، ص58.
(8)- حسن إبراهيم حسن: **عبيد الله المهدي إمام الشّيعة الإسماعيلية**، ص268.
(9)- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ، ج6، ص ص461-463.

النّاس بشتّى الحروب ضد العباسيين والأمويين[1].

ولما استقر الأمر بطرابلس أرسل عبيد الله جيوشه نحو برقة[2]، بقيادة خفاجة العبسي الكتامي فتوجة سنة(301هـ/913م) نحو سِرت[3] لأنّها مازالت تحت حكم الأغالبة، فدخلها بدون حرب، وهجرها من كان فيها من جنود العباسيين والأغالبة، ثم تقدم حباسة إلى أجدابية[4]، وطلب أهلها الأمان فأمنهم وأخذ أموالهم وسبي نسائهم واحتلّ مدينة برقة[5].

وقد ارتكب حباسة جرائم شنيعة في أهالي برقة، فأرسلوا إلى عبيد الله يشكونه من أفعاله فاعتذر لهم وكتب لحباسة أن يرحل من برقة، فرحل إلى مصر، وفي سنة(302هـ/914م)، انتقم أهل برقة من العُبيديّين فقتلوا عاملهم، وكثيراً من رجال كتامة فأرسل المهدي جيوشه سنة (303هـ/915م) لتأديبهم، حيث قاد هذه الجيوش أبو مدين ابن فروخ اللّهيفي وحاصر برقة مدة ثمانية عشر شهراً، ودخلها عنوة، فقتل أكثر أهلها وأحرق دورها وهتك أعراض نسائها، وبقي أبو مدين ببرقة إلى أن مات سنة(302هـ/918م)، وفي سنة (308هـ/920م) تمّ بناء المهديّة[6] وانتقل إليها المهدي، واستطاع العبيديّون أن يفرضوا نفوذهم بقوة السّلاح عبر إفريقية، وطرابلس وبرقة وجزيرة صقلية[7].

2.1.2- تحالف أهل السنة مع ثورة أبي يزيد الخرجي:

بعد وفاة عبيد الله المهدي سنة(322هـ/934م) تولّى ابنه أبو القاسم نزار الملقّب بالقائم بأمر الله الحكم[8]، والذي كثرت في عهده المصائب التي واجهت الدولة العبيدية،

---

(1)- عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ص ص347-348.

(2)- بفتح أوّله، والقاف اسم يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها طرابلس، طول برقة ثلاث وستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1، ص389.

(3)- بضمّ أوّله وسكون ثانيه وآخره تاء مثناة من فوق علمٍ مُرتجل غير مستعمل في كلامهم، مدينة على ساحل البحر الرّومي بين برقة وطرابلس.أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السّابق، مج3، ص206.

(4)- بالفتح ثمّ السّكون ودال مهمة وبعد الألف باءٌ موحّدة وياءٌ خفيفة، وهاء يجوز أن يكون إذ كان عربياً وهو بلد بين برقة وطرابلس الغرب، بينهُ وبين زويلة نحو شهر سيراً على الأقدام. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1، ص200.

(5)- الحسن بن محمد شواط: المرجع السابق، ج1، ص112.

(6)- بالفتح ثم السكون في موضعين أحدهما بإفريقية والأخرى إختطها عبد المؤمن بن علي قرب سلا، فأما المهدي فهي أربعة أوجه، منه أن يكون المهدي بفتح الميم ويعدّ أنه مُهتدٍ. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق ، مج5، ص229.

(7)- محمد علي الصّلابي: المرجع السابق، ص105.

(8)- القائم بأمر الله هو أبو القاسم محمّد بن المهدي بن عبيد الله ولد في سلمية، سنة ثمان وسبعين ومائتين، بويع له بخلافة الروافض سنة إثنتين وعشرين وثلاثمئة. أنظر: الذهبي: المصدر السابق، ج6، ص64.

فكما ذكرنا سابقاً عن ثورة أبي يزيد الخارجي الذي استغلّ الأوضاع وألّب الإباضية عن القائم بأمر الله، وجموع من القبائل وفقهاء وزهاد القيروان من المالكيّة والخوارج النكّارية، الذين شنّوا ثورة جعلت من الدولة العبيدية تغيّر من تصرّفاتها الإدارية بإبعاد كتامة من الوظائف العليا للدّولة[1] ذلك أنّ القائم بأمر الله حمّلها مسؤولية ثورة أبي يزيد الخارجي.

وقد حارب إلى جانبه أهل القيروان من المالكية الذين رأوا أنّ الخروج مع أبي يزيد أمر واجب وقالوا:" إن ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد، والله يسلّط عليه إماماً عادلاً لا يُخْرِجهُ عنّاَ"[2]، وخرجوا إلى المهدية بقيادة العلماء، لكنّ أبا يزيد غدر بهم فاستشهد منهم خمسة وثمانون عالماً، فتنكر النّاس لأبي يزيد ومنعوه من دخول القيروان[3]

غير أنّ الظروف سرعان ماتغيّرت لصالح العُبيديين واستطاعوا القضاء على الثّورة، وألحقوا بها خسائر فادحة، حيث انضمّت إليهم صنهاجة، ومع تولي المنصور بالله[4] الحكم سنة(334-341هـ/946-953م) استطاع أن يقود جيوشه للنّصر، حيث يقول عنه الذّهبي:"كان بطلاً شجاعاً فصيحاً مفوّضاً يرتجل الخُطب، وفيه إسلام في الجملة على خلاف أبيه الزّنديق"[5]، كما عمد على إلغاء الضرائب الغير الشرعيّة، واسقطه عليهم" مافي هذه السنة الآتية، وهي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، من العشر والصّدقات وجميع اللّوازم"[6].

2.2- المظاهر الفكرية:

لقد كرّس العبيديّون جهودهم طيلة وجودهم بالمغرب لإماتة السنة مستعملين في ذلك أخسّ الوسائل، فكان علما أهل السّنة وخاصة المالكيّة لهم بالمرصاد، وقد شعر العبيديون بالقلق من العلماء والفقهاء الذين صمدوا في وجههم، فراحوا يقومون بأعمال منكرة لنشر

---

(1)- ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، دار الغرب الإسلامي،(د.م)،1987، ص ص318-321.
(2)- الدّباغ: المصدر السابق، ج3، ص ص29-34؛ القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج3، ص ص318-321.
(3)- حسن شواط : المرجع السابق، ج1، ص82.
(4)- أبو الظاهر اسماعيل بن القائم المهدي العُبيدي، تولى الخلافة بعد أبيه، وهو الذي قضى على ثورة أبي يزيد الخارجي،أنظر: محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص65.
(5)- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج15، ص170.
(6)- نسيم نوّار: المرجع السابق، ص115.

أباطيلهم، الأمر الذي جعل علماء المالكيّة يتّخذون موقفاً جهادياً ضدّهم وسلكوا عدة أساليب منها الإفتاء بتكفير الشّيعة والخروج لمحابرتهم، وعدة وسائل أخرى، فماهي وسائل مقاومة علماء المالكية للشيعة الإسماعيلية، وما هو موقفهم من جرائم بني عبيد؟

1.2.2-الإفتاء في مقاطعة بني عبيد ومحاربتهم:

هذه الوسيلة هي أولى الوسائل التي اتّخذها علماء المغرب في مقاومة التّيار الشيعي، ونعني بها المقاطعة الجماعية التي قاطع بها علماء المغرب كل من له صلة بالشيعة[1]، وتمثّلت تلك المقاطعة في مقاطعة قضاة الدّولة وعمالها، وأماكن العبادة التي يسيطر عليها العبيديون الذين جعلوا من مقر الخليفة قبلة لهم، حيث كانوا يصلّون إلى القيروان، حتى إذا انتقلت الخلافة العُبيدية إلى المهدية اتخذوا من هذه العاصمة الجديدة قبلة لهم وشرّقوا، الأمر الذي جعل علماء السّنة يعزفون عن الصّلاة في مساجد العُبيديين[2]، ومن بين هؤلاء العلماء أبو عبد الله محمّد بن بسطام[3]، وأبو بشير بن محمّد يونس السّوسي[4].

وقد قاطع أبو يوسف حلبة بن محمود بن عبد الرّحمان العبيديّين علانيّة في أول خطبة لبني عبيد بجامع القيروان" فعندما سمع مالا يجوز سماعه، قام قائماً وكشف عن رأسه رآه الناس ومشى على آخر الباب في الجامع -جامع القيروان- والنّاس ينظرون إليه حتى خرج من الباب وهو يقول: قطعوها قطعهم الله، فمن ذلك الحين ترك العلماء حضور جمعتهم وهو أوّل من نبه على ذلك"[5]

ومنهم من اكتفى بالدُّعاء عليهم، فهذا الموقف هو موقف علنيّ لكنّه لم يتجاوز اللّجوء إلى السّلطة الروحية وإلى الدّعوة المستجابة، وكان أصحابه يتوجهون إلى السّماء ويدعون على العبيديّين بالزّوال والهلاك والفناء[6]، كما فعل أبو إسحاق السّبائي الزّاهد الذي إذا

---

(1)- ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص461

(2)- حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص55

(3)- هو عبد الله بن بسطام بن رجاء الضبي، كان عابدً زاهداً ألف عدة كتب بخطة وتوفي سنة (313هـ/925م). أنظر: الخشني: المصدر السابق، ص168.

(4)- هو البشير محمد بن أحمد بن يونس السّوسي، كان صالحاً، وكان من الخاشعين العاملين المجتهدين (ت331هـ). أنظر المالكي: المصدر السابق، ج2، ص ص374-375.

(5)- نفسه: ص43.

(6)- حسن حافظي علوي: المرجع نفسه، ص53.

رقى رقية يقول بعد الحمد لله وصورة الاخلاص والمعوذتين:" وبِبُغضي في عبيد الله وذريته وحُبّى في بيتك وأصحابه وأهل بيته إشفِ كل من رقيته"[1].

وقد شعر العبيديّون بهذا الإنكار الصّامت فلم يكن شيء أشدّ عليهم منه[2]، وقد أفتى علماء القيروان بكفر بني عبيد، وأنهم ليسوا من أهل القبلة، وكفّروا كل من دخل في دعوتهم راضياً، ولم يعذروا المكره وقالوا" يختار القتل ولايدخل في دعوتهم"[3]، فهذا خلف بن أبي القاسم البراذعي[4] نقم عليه فقهاء القيروان صلته بملوك بني عبيد وتأليفه كتاباً في تصحيح نسبهم وزادوا نقماً عليه عندما وجدوا بخطّه الثّناء على العبيديّين.

فأفتى علماء المالكية بطرح كتبه وعدم قرائتها[5]، ولم يتخلّوا عن التّدريس في هذه الفترة الحرجة، فلمّا مُنِعوا من التّحديث والإقراء في المساجد فتحوا بيوتهم للطلبة فقصدوهم للتّلقي، وكان تلاميذ أحمد بن ناصر الهوّاري يقصدونه في بيته بعد أن منعه العبيديّون من التّدريس في المسجد، فكان هذا ممّا ساهم في نشر العلم وعدم انقطاع الحياة العلميّة وتعمّق الوعي السّنّي بخطورة الفكر الإسماعيلي[6].

ومن بين ماقام به العلماء المالكيون في التّصدي للفكر الإسماعيلي هو التّحيل في تعليم أطفالهم حتّى يتربّوا على السّنة، وذلك ماقام به أبو إسحاق الجِبِنَائي وغيره، فإنّه كان يعلمُ أولاد الكتاميين –حملة الدعوة الإسماعيلية– ولا يأخذ منهم أجراً ترغيباً لهم في الإقبال عليه"ويعلّمهم القرآن والسّنة ولا يعلّمهم يكتبون، ويقول ليس يضرّون النّاس بالقرآن، وإنّما يضرّونهم بالأقلام، فعزم كل صبّي كتامي علّمه أبو إسحاق عن الإسلام والسنّة"،[7] فتكاتف جهود هؤلاء العلماء والفقهاء المالكيين منذ القرون الأولى إلى القرن الرابع الهجري مع ابن أبي زيد القيرواني الذي بفضله تم إرساء مدرسة مالكية كان لها دور بالغ الأهمية في التّصدّي للزحف الشيعي الإسماعيلي بفضل ما تملكه من مقوّمات عقديّة وفكرية[8].

---

(1)- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج3، ص337.
(2)- حسن شواط: المرجع السابق، ج1، ص72.
(3)- الدبّاغ: المصدر السابق، ج3، ص177.
(4)- هو أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأسدي البراذعي من كبراء فقهاء المالكية بالقيروان، أخذ عزابة وتوفي سنة (400هـ/1009م) أنظر: القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج4، ص808.
(5)- ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص463.
(6)- حسن شواط: المرجع السابق، ج1، ص79.
(7)- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج3، ص516.
(8)- مزيان وشن: المرجع السّابق ، ص 163.

ولم يكتفي علماء أهل السنة بتكفير العبيديّين فقط بل منهم من حمل السّلاح وخرج ليقاتلهم[1] فهذا جِبلّة الصّدفي ترك سكنى الرّباط ونزل القيروان، فلما تكلّم في ذلك قال:" كنّا نحرُس عدوًّا بيننا وبينه البحرُ والآن هذا العدُوّ، وسباحتنا، وهو أشدُّ علينا من ذلك، وقالَ: جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشِرك"[2] واستدلّ بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

وقد خطى العلماء خُطوة كبيرة بإصدار فتوى وجوب قِتال العبيديّين، وكان ذلك بعد اجتماع تشاور بين علماء أهل السّنة من بينهم أبو إسحاق السبائي، وأبو العرب بن تميم[4]، الذي حسم الأمر عندما تناظر النّاس حول شرعية الخروج، فقال لهم:**<<** اسكتوا، فسكت الناس فقال: حدّثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله يرفعه إلى النّبي صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: يكون في آخر الزّمان قوم يسمُّون الرافضة فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنّهم كفار، فلمّا تم الحديث كثر الناس وارتفعت أصواتهم ثمَّ خرجوا>>[5].

2.2.2- المجالس والمناظرات:

لقد كانت المجالس والمناظرات نوع من أنواع المقاومة الجدليّة وهي أوسع وأقوى أنواع المقاومة التي قام بها علماء المالكيّة ضدّ الشّيعة، فقد أفحموا فيها دعاة بني عُبيد وأقاموا عليها الحجة، ودحضوا مزاعمهم بالبراهين القاطعة واعتمدوا على القرآن والحديث فحفظوا للسنّة مكانتها وللإسلام عزّته وكانوا لسان أهل السّنة الناطق[6].

ومن أبرز الرّجال الذين كانو قائمين على هذا النّوع من المقاومة، ابن البردون الذي كان قويّ الحجّة في الجدل ولم يكن في شبابه أحدٌ أقوى منه على الجدل والمناظرة وإقامة

---

(1)- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص207.
(2)- الدّباغ: المصدر السابق، ج2، ص185.
(3)- **سورة التوبة**، الآية 123.
(4)- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم مؤلف كتاب طبقات رجال إفريقية، سمع من جماعة من شيوخ سحنون، تغلُب عليه الرّواية والحجج، أنظر: الخشني: المصدر السّابق، ص 50.
(5)- المالكي: المصدر السابق، ص309.
(6)- حسن شواط : المرجع السابق، ص80.

الحجة على المخالفين،[1] بالإضافة إلى أبو بكر القمّودي[2]، الذي ناظر أبي العباس الشيعي وأبو عثمان سعيد بن محمد بن الحدّاد، فقد كانت له مع بني عبيد مقامات كريمة ومواقف محمودة في الدّفاع عن الإسلام والذّبّ عن السّنة، ناظر فيها أبا العباس المخطوم أخا عبد الله الشيعي مناظرة المتعزّز المتعالي.

وأبو محمّد بن عبد الله التّبّان فقد كان هذا الإمام من أشدّ النّاس على بني عبيد وأكثرهم مقاومة، ومن مواقفه المشهورة أنّه كان يوما في جمع من أصحابه وكان يوم عاشوراء، فلما رأى جمع بني عبيد بكى[3] فقيل له:" ما يبكيك، فقال: والله ماأخشى عليهم من الذّنوب لأن مولاهم كريم وإنّما أخشى عليهم من أن يشُكّوا في كفر بني عبيد فيدخلوا النّار"[4]

وكانت تنقسم هذه المناظرة إلى نوعين:

- **مجالس عامّة:**

يشترك فيها عدد كبير من العلماء على اختلاف مذاهبهم المناظِرة للشِّيعة، وعلى الرّغم من اختلاف هذه المذاهب في المسائل الفقهية، إلاّ أن مجالسهم شهدت وحدة كلمتهم، حيث يقول المقدسي:" وليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا عصبية قد أقبلوا على مايُعينهم وارتفع الغل في قلوبهم"[5].

- **مجالس خاصة:**

والتي كان يحضرها رجل واحد من أهل السنّة كابن الحداد ورجل من الشيعة وهو أبو عبد الله الشيعي[6].

وفي هذا السياق سنعرض جزءا من مناظرة دارت بين أبي سعيد والشيعة حول قيام رمضان وصلاة التراويح، ففي هذه المناظرة يريد الشيعة أن يقنعوا أهل السنة بأنّ صلاة

---

(1)- إبراهيم التُهامي: المرجع السابق، ص465.
(2)- هو أبو بكر القمّودي رجل في سمات العطارين يعرف بالقمودي، مذهبه الاعتزال، والمناظرة فيه وعليه،أنظر: الخشني: المصدر السابق، ص77.
(3)- إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص466.
(4)- الدَباغ: المصدر السابق، ج3، ص91.
(5)- شمس الدَين بن أبي بكر، المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مدينة ليدن مطبع بربل، (د.م)، 1877، ص235.
(6)- إبراهيم التُهامي: المرجع السابق، ص472.

التّراويح ماهي إلاّ بدعة ابتدعها عمر رضي الله عنه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:<< إنّ كلّ بدعة ضلالة>>[1].

ولهذ قام عبد الله المروزي[2] بجمع علماء السنة وقال لهم بأنّه أُمِر بمناظرتهم في قيام رمضان، فقال أبو عثمان سعيدين الحدّاد: "شأنك وما تريد"، فقال: " ألستم تعلمون وترون أنّ النّبي صلى الله عليه وسلّم لم يقم إلاّ ليلة واحدة وأنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي سنّ القيام"، فقال أبو سعيد:" إن عمر لم يسنّ قيام رمضان، لأن قيامه كان موجوداً قبل ذلك فقد قامه النبي صلى الله عليه وسلّم فقال: من قام رمضان إيماناً واحتسباً غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر"[3].

وقال أبو سعيد:" فقلت هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عزّ وجلّ ويُذم من تركها" فقال المروزي: وأين تجد ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ قال أبو سعيد في قوله تعالى:﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾[4] فنحن نثابر على هذه البدعة التي هي رهبانيّة لكيلا يذمنا الله عزّ وجلّ كما ذمهم[5].

وهذه المناظرة ماهي إلاّ جزء صغير من مجموع المناظرات التي وقعت بين علماء المالكية والشيعة الإسماعيلية، والتي شملت الأمور العقدية والفقهية[6].

3.2.2-التأليف والشّعر:

هذه المُقاومة هي من أنفع الوسائل في مواجهة الشيعة الإسماعيلية والتي أقلقتهم، وكان لها أثر في تبصير العامة بالحق، وإرساء دعائم السّنّة، فقد ألقت بعض المسائل والقضايا الخلافيّة بين المالكيّين والإسماعيليّين، وما لاقاه فقهاء المالكيّة من اضطهادات ومضايقات بظلالها على حركة التّأليف لدى المالكيّة في العهد العبيدي، والتي تناولت المسائل العقديّة، وفي مقدمتها مسألة الإمامة.

---

(1)- إبراهيم محمد، الشاطبي: **كتاب الإعتصام**، ج1، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار بن عفان السعودية، 1992م، ص188.

(2)- هو عبد الله تميم بن حمّاد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، صاحب التصانيف، كان من أعلم الناس ومات محبوباً. أنظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج1، ص595.

(3)- رواه البخاري: المصدر السابق ، **بابُ فضل ليلة القدر** ، رقم الحديث 2014، ص45.

(4)- **سورة الحديد**، الآية 27.

(5)- المالكي: **رياض التونس**، ج2، ص ص60-64.

(6)- إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص266.

فقد وضع أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله المعروف بالقلانسي (ت359هـ/969م) كتاباً في "الإمامة والرّد على الرافضة" والذي أمتحِن جرّاء ذلك على يد الخليفة العبيدي حيث ضربه سبعمائة ضربة بالسّوط وحبسه لمدة أربعة أشهر[1]، ووضَع أبو بكر بن اللّباد كتاب إثبات الحجة في إثبات العصمة للأنبياء وذلك ردّاً على الإسماعليين بعصمة الأئمة[2]، وصنّف ابن التّبان كتاباً في "فضائل أهل البيت"[3]، وقد دفع منع الشيعة لصلاة التّراويح بأبي يزيد القيرواني إلى وضع كتاب "فضل قيام رمضان"[4]، وإضافة إلى ذلك فقد لجأ الفقهاء المالكيين إلى مصنفات تنوّه بفضائل الإمام مالك ومذهبه وتبرز محاسنه، فقد وضع أبو العرب كتابُ " فضائل مالك".[5]

ويبدوا أنّ ما تعرّض له الفقهاء من ابتلاءات من طرف الشّيعة، كانت إحدى الدّوافع التي دفعته إلى وضع كتاب " المِحَنْ"، والذي تناول فيه مَاطالهم من شتّى ألوان التّعذيب والقتل والضرب والسّجن، وعن صبرهم وثباتهم إبّان ذلك، وقد افتتحه ببيان فضل المُمتحنين كما ورد في الأحاديث النّبوية.

وأوّل حديث أورده في هذا الصّدد هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام لما سئل من النّاس أشدُّ بلاءاً؟ فقال:<< الأنبياءُ ثم الأمثلُ، فالأمثلُ، يُبتلى الرّجُلُ على حسب دينهُ، فإن كان في دينه صلابةُ زيد في بلائهِ وإن كان في دينهِ رَقّة خففت عنهُ، وما يزالُ البلاءُ بالعبدِ حتى يمشي على الأرض وماله من خطيئة>>[6]

أمّا عن نظم الشّعر فقد نظموا شعراً ذمُّوا فيه بنو عبيد وقد برز في هذا الميدان كثير من الشّعراء نذكُرُ منهم أبا القاسم الفرزاي وسهل الورّاق فمن شعر أبي القاسم الفرزاي في هجو بني عبيد، قوله في وصف سلوكهم:

عبدوا ملوكهم وظنّوا أنّهم نالوا بهم بسبب النّجاة عُمُوماً

وتَمكّن الشّيطان من خطواتهم فأراهم عوجُ الضلال قويـّـاً

---

[1]- إبراهيم بن نور الدين، ابن فرحون: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996، ص144.

[2]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص21.

[3]- نفسه: ص161-162.

[4]- ابن فرحون: المصدر السابق، ص223.

[5]– نفسه: ص388.

[6] رواه البخاري: رقم الحديث 5648، ص115؛ محمّد بن تميم، أبو العرب: **كتاب المحن**، تحقيق: يحي وهيب الجبوري، دار القرب الإسلامي، ط3، بيروت، 2006،ص57.

رغبوا الصّديق والفاروق في أحكامهم لاسلّموا تسليمـــــاً[1]

وبناءًا على هذا يمكننا القول أن المعارضة السّنية المالكية للمدّ الشيعي الإسماعيلي وانتهاجهم الأساليب العلمية في مقاومتهم، كانت لها آثارا إيجابية مثمرة على الصعيد الثقافي، فأثروا على الحياة الفكرية بإنجازاتهم ومجهوداتهم العلمية المتعددة والمتنوعة كما كانت إحدى الأسباب الرئيسية التي أدت إلى فشل العُبيديّين في نشر أفكارهم بالمغرب الإسلامي.

3 ـ النّزاع الأموي العُبيدي:

لقد كان قيام الدّولة العُبيدية في المغرب بمثابة خطر اعتبرته الخلافة الأموية بالأندلس تهديداً لوجودها، ولعلّ مايميز الصّراع الأموي العُبيدي هو الجانب المذهبي بالدرجة الأولى، ولقد كان الإحساس بهذا الخطر هو السبب من وراء إعلان عبد الرحمن الناصر[2] نفسه خليفة المسلمين سنة(316هـ/928م)[3].

ويقول الذهبي:" تلقب صاحب الأندلس النّاصر المرواني بأمير المؤمنين، وقال أنا أحق بهذا اللّقب من الخليفة من تحديد بني بُويه وصدق النّاصر فقد كان بطلاً شجاعاً سائساً مهيباً له غزوات مشهورة كان خليفة للخلافة"[4].

ومن الأسباب التي دفعت عبد الرّحمن الناصر بمثل ذلك هي:

- فرض هيبته في نفوس أهل الأندلس حتى لا يتأثروا بالدعوة الإسماعيلية وخصوصاً ماجاء به دعاتهم من محاولات لنشرها بين سكان بلاد المغرب.
- رفع منزلته الدّينية والسّياسية وإضعاف الصبغة الشرعية على حكمه خصوصاً بعد الضّعف الذي أصاب أسلافه نتيجة الثورات الدّاخليّة[5].

وقد أمر النّاصر بإطلاق اللعن على ملوك العبيديين بجميع منابر الأندلس، وإنفاذ كتبه بذلك إلى العمّال بسائر الأقطار[6]، وكان ذلك سنة(344هـ/955م) والتي تظهر من

---

(1)- المالكي: المصدر السابق، ج2، ص434.

(2)- يسمى النَاصر عبد الرحمن بن محمد بأمير المؤمنين بعد سنتين من خلافته لمَا ضعف سلطان الدَولة العباسية بالمشرق وكان من قبله من آباء، يدعون بالأُمراء . أنظر: ابن الآبار، المصدر السابق: ج1، ص197.

(3)- سمى محمود إسماعيل: **الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص216.

(4)- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج15، ص118.

(5)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص-ص 185-188.

(6)- نفسه: ص ص 185-186

سياسة الأمويين في استقبال الوفود من المغرب وإكراههم، ومن الوفود نجد الوفد الذي أرسله أبو يزيد إثر ثورته على العُبيديين وهو أبو جعفر[1].

وقد دعّم الأمويّون الحركات والثّورات التي شُنّت ضدّ العُبيديين كثورة أبي يزيد وقدّم الناصر تأييدا لموسى ابن أبي العافية، عندما خلع هذا الأخير طاعة العُبيديين سنة(319هـ/931م)، وأعلن ولاءه للأمويين ألقى الخطبة لعبيد الله المهدي وخطب للنّاصر على منابر المغرب بإمارته[2].

وقد تمثَّل ردّ فعل العُبيديين في إرسالهم حميد بن صلتين إلى موسى الذي هزمه وكانت هزيمته من هزيمة الأمويين، وقام موسى بدفع أنصاره إلى قتل عامل فاس حامد وبعث برأس والده إلى موسى الذي قام بإرسالها إلى الخليفة الأموي[3]، فكان للعبيديّين نفس السياسة اتجاه الأمويين وأرسلوا جواسيس كان لهم الأثر الكبير في نشر الفكر الشيعي بالأندلس كأبي اليسر الرياضي(298هـ/910م)[4].

وقام العبيديّون بدعم ثورة الدّاعي أبو الخير ضد الحكم المستنصر التي تعتبر من أخطر الثّورات لأنها خرجت من نطاق قرطبة والزهراء وعمت الأندلس[5]، وعُرف عن الدّاعي بأن له آراء متطرّفة منها الانحلال الخلقي وإنكار الحساب والعقاب، فاجتمع الفقهاء كابن سعيد، وأقرّ الحكام بهذا الأمر وقتلوه[6].

لقد لجأ العُبيديون إلى الدّعاية الشيعية في محاولة منهم لجذب أهل الأندلس نحوهم لإثارة الفوضى وإشعال الثورات والتعجيل من سقوط الأمويين، فكان نجاح الدّعوة العبيدية بالأندلس محدوداً جداً وذلك لتأصيل المذهب السنّي المالكي بها، الأمر الذي جعل العُبيديّين يشعرون باستحالة غزو الأندلس فراحوا يدعمون الثّورات كثورة ابن

---

(1)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 212.

(2)- سعدون عباس نصر الله: **دولة الأدارسة في المغرب**، ج2، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1987، ص33.

(3)- أبو العباس أحمد السلاوي: **الإستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، تحقيق: جعفر النَاصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1995، ص189.

(4)- محمد علي مكي: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2004، ص28؛ عبد العزيز فيلالي: **العلاقات السياسية بين الدول الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص130.

(5)- موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979، ص383.

(6)- نفسه: ص335.

حفصون(267-305هـ/880-917م)، فتفطّن النّاصر لذلك وحصّن الثّغور وحارب الأسطول الذي كان بالجزيرة الخضراء وقضى على ثورته سنة(302هـ/914م)[1].

وبالرّغم من جهود العبيديّين المبذولة فقد اسفرت سياستها التّوسعية في بلاد المغرب عن نتائج هزيلة وذلك أنّ الدّولة الأمويّة أوجدت لها موطن في قدم في المغرب الأقصى وسيطرت على زناتة في المغرب الأوسط[2].

ثالثا ـ حسم الصّراع وتجديد المذهب المالكي:

استطاع المعزّ لدين الله أن يمدّ نفوذه على معظم الشّمال الإفريقي شرقاً وغرباً، وتوسعت أملاكه في صقلية سنة(354هـ/965م) وأصبحت حدوده إلى حدود مصر، واستطاع متابعة أموال أمراءها وحكامها، فأصبحت نفسه تسّول له بالاستيلاء على مصر، وبموت كافور الإخشيدي التابع للدولة العباسية سنة(355هـ/966م)، اضطربت الدّيار المصرية وحشد المعز جيوشاً عظيمة، واختار جوهر الصّقلي قائداً لتلك الجيوش التي زادت عن مئة ألف، وتحرّكوا لنقل المذهب الشيعي إلى مصر، فتمكّنوا من دخولها سنة(358هـ/969م)[3].

ولمّا عزم المعز الإنتقال إلى مصر سنة(361هـ/972م)، فكّر في تعيين خليفة بافريقيّة، فاختار بلقين بن زيري[4] لأنّ" به الوثوق من صدق التّشيع ورسوخ القدم في دراية الدولة"[5]، وبذلك يتّضح أن المعز أراد ضمان بقاء تبعيّة بلاد إفريقية للقاهرة على الأقل سياسياً واقتصادياً لأنّ أهل إفريقية كانوا متمسكين بالمذهب السّني[6].

وقد أدرك العُبيديون أن تأثيرهم ونفوذهم بإفريقية سيجعل من بلقين بن زيري يستتب بالملك ويظهر الطّاعة مجاملة، وستكون مراقبة المعز للزّيريين لا طائل لها حسب ابن الأثير[7]، ولذلك عمدوا على حظورهم الرّمزي بإفريقية من خلال المراسلات والمهادات، ومثال ذلك أنّه في سنة (365هـ/974م) بعث بلقين أمير إفريقية هدية إلى المعز ومعها المال، وبالرغم من أنّ الطّابع الودّي غلب على العلاقات بينهما ظاهرياً إلاّ أنّ العبيديّين

---

(1)- ابن عذاري: المصدر السابق،ج2، ص165.
(2)- المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص94.
(3)- الصلابي: المرجع السابق، ص67.
(4)- حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص57.
(5)- ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص 200-205.
(6)- ابن عذاري: المصدر السابق، ص228.
(7)- **الكامل في التاريخ**، ج8، ص665.

كانوا على قناعة بعدم التزام إفريقية بالولاء لهم ولذلك بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل تعزيز نفوذهم المذهبي بإفريقية.

وفي مقابل ذلك تزعّم العباسيّون التيّار السّنّي ونظّموا حملات دعائيّة مضادّة ضدّ الشّيعة في مصر، واستنفروا به جيشاً من العلماء والفقهاء من شتّى المذاهب السّنية، وقاموا بمواجهات عنيفة[1]، نذكر منها أنه في سنة (393هـ/1003م) حدثت مواجهة عنيفة جعلَت من الحاكم بأمر الله العبيدي يصدر سجلاً حول الفتنة التي اندلعت بين المذهبين بمصر، حيث قال:" أن جماعة من الشّيعة تعرّضوا لأهل السنّة في التّراويح بالرّجم، فكتب في ذلك سجلاً قرئ في المنابر في مصر " [2].

إنّ هذه الأحداث قد هيمنت وألقت بظلالها على كل بلاد المغرب وبالأخص إفريقية، فتفاعل فقهاء وعلماء إفريقية معها، واعتبروها دعماً لهم في مواجهة رموز الفكر الشيعي، فحدثت مواجهات عنيفة جداً نذكر منها أنه بسبب حادثة "كبوة فرس"[3] ثار أهل السنّة على الشيعة وشارك العلماء في تأجيج الثورة بالترغيب والتّحريض، فحدثت الثورة سنة(407هـ/1016م) ضد قوم كانوا يستترون تشيّعهم بحومة تعرف بدرب المعلى بالقيروان، فقتل منهم خلق كثير، ونهبوا دورهم وأموالهم[4].

ويتضح من خلال تلك الأحداث أنّ إعادة تشكيل الخارطة المذهبية بإفريقية أصبح أمراً واقعاً، وأنّ معالمها بدأت تتّضح شيئاً فشيئاً منذ انسحاب العبيديّين إلى مصر، نحو حسم النّزاع المذهبي بين السنّة والشيعة على امتداد فترة دولة المعز[5]، فهذا الواقع الجديد نقل البلاد إلى مرحلة متوترة تميزت بدخول طرف ثالث في الصراع والمنافسة على توسيع النفوذ السياسي بإفريقية والمغرب.

وفي سنة (439هـ-440هـ/1047-1048م) تعيّن أنّ هذا التاريخ كان حاسماً في علاقة المعز بالعبيديّين، وكان كبداية فعلية للقطيعة المذهبية والسياسية بين الطرفين، وقد

---

(1)- المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص247.

(2)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج3، ص76.

(3)- كبوة فرس تعود تفاصيل هذه الحادثة أن المعز كان يتجول كعادته بالقيروان، وفجأة كبا به فرسه، وصاح مستغيثاً باسم الصحابيين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبذلك تبين حقيقة المذهب المعز ما شجع أهل السنَّة في الثورة على الشيعة، أنظر: حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص68.

(4)- حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص78.

(5)- عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ج2، المركز الثقافي العربي، ط5، الدار البيضاء، 1996، ص177.

قال ابن أشرف مؤرخ الأمير المعز أنه: "في سنة (440هـ/1048م) أمر المعز بن باديس بأن يدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب وبقطع دعوة الشّيعة للعبيديين، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة، وللعباس، ولبقية العشرة"[1].

وفي سنة(441هـ/1048م) اتخذ المعز إجراءات عملية لترسيخ القطيعة مع العُبيديين، فكما ذكرنا سابقاً قد دعا للخلفاء العباسيين، وغير النّقود التي أصبحت تعكس التوجه السّني، الأمر الذي ساهم في إعادة قطع دعوة العُبيديين وإعادة إقامة السّنة، وجعل المذهب المالكي المذهب الرّسمي للدولة[2].

ومن كل ماسبق نستنتج أنّ ترسيخ المذهب المالكي في المغرب مرّ بعدة مراحل منها دور العلماء البارز في الدّفاع عن السّنة والتّضحية من أجل ذلك، وأنّ لا السّلطة السياسية العُبيدية ولا السّلطة المذهبية الشيعية، قدرتا على تغيير واقع مذهبي تجذّر في المجتمع المغربي منذ قرون.

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص277.
[2]- نفسه: ص296.

خاتمـــة

من خلال ما سبق، توصّلنا إلى رسم صورة تاريخية واضحة، بيّنا فيها أبرز المذاهب والفرق المتصارعة على أرض المغرب، خلال القرنين الثالث والرابع هجريين، ويتّضح ذلك من خلال النتائج الآتية:

- أنّ الصّراع المذهبي الذي كان قائما في بلاد المغرب الإسلامي، لم يكن وليد الصّدفة، وإنما هو محاكاة للصّراع الذي شهده المشارقة منذ وفاة الرّسول، كون أنّ حواضر المغرب كانت تتأثر بما كان يدور في المشرق.
- أنّ تفاعل المغاربة مع تلك المذاهب والفرق، ما كان إلّا أمرا حتميا فرضته السّياسة الجائرة التي انتهجها ولاة بني أميّة من تعسّف وظلم، فكانوا مُتنفّسهم وملاذهم الوحيد للخروج من تلك السّياسة.
- أنّ الخصومة المذهبيّة والعداء بين – الخوارج وأهل السنة– وبين – المالكية والأحناف – ظهر فيها نوع من التّسامح والتّعايش السّلمي في بعض الأحيان، عكس الصّراع المالكي الشّيعي الذي بلغ أشُدّه من التّنكيل والاضطهاد والتّصفيات الجسديّة.
- أنّ الصّراع المذهبي كان وراء تفكّك وحدة بلاد المغرب السّياسية، وتشكل دويلات إقليمية على أساس المرجعية المذهبية التي انقسمت إلى سنة وشيعة وخوارج، فكان أحد عوامل سقوط تلك الأنظمة.
- أنّ ثورات الخوارج عامّة وثورة أبو يزيد الخارجي خاصّة، كانت سببا في التّمهيد لزوال الفكر الخارجي الذي حمل تبعات كلّ الاضطرابات التي وقعت في المغرب الأوسط وإفريقية، ممّا جعل البقيّة الباقية منهم يبحثون عن ملجأ آمن يحتمون به بعيدا عن الصّراعات التي أضعفت وجودهم، وقوضت كيانهم فاختاروا الصحراء مستقرا وملجأً.
- كما أنّ من أسباب شيوع مجالس المناظرات، هو تشجيع بعض أمراء الدولة الأغلبية للفرق، حيث أنّهم قرّبوا المعتزلة وتبنّوا أفكارهم ومعتقداتهم وأظهروا الظلم والتعسّف ضدّ أهل المغرب لتقبل هذه الأفكار والمسائل مثل، مسألة خلق القرآن التي امتحن فيها العديد من العلماء والفقهاء في المغرب الإسلامي.
- أنّ الصّراع المذهبي ترك آثارا سلبيّة كثيرة على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والسّياسيّة، فقد ترك آثارا مدمّرة على الأفراد والجماعات والعمران، وميّز كلّ طائفة عن

الطّوائف الأخرى بمدارسها ومساجدها وأفكارها وتراثها، أمّا في الجانب الثقافي– العلمي – ساهم في ازدهار حركة التّأليف، فظهرت كتب ومؤلفات للرّد على المذاهب والفرق المنحرفة.

- أنّ الصّراع المذهبي في المغرب الإسلامي لم يتوقف كونه صراعا عقديا فحسب، بل تعدّاه إلى صراع تغذّيه المصالح السّياسية، مدفوعاً فيها دفعا بالرّغبة في الحكم والسّيادة.
- أنّ هذا الصّراع انتهى إلى تجديد المذهب المالكي، وذلك نتيجة لصمود علماء وفقهاء المالكية ومجهوداتهم وتضحياتهم التي بذلوها منذ بدايات الإسلام ببلاد المغرب، فقد حاربوا بالسّيف والقلم تجاه المذاهب والفرق المخالفة لهم.
- أنّ انكشاف حقيقة مذهب المعز بن باديس، قد شجّع المغاربة في الثّورة على الشّيعة فعملوا على استرجاع سيادة المذهب المالكي، ليصير بذلك محدّدا أساسيّا للهوية الدّينيّة والمذهبية لبلاد المغرب.
- أنّ ذهنيّة المغاربة – البربر– ساهمت نوعا ما في ترسيخ المذهب المالكي، نظرا لتعلّقهم به فهو في نظرهم يعبّر عن الإسلام الصحيح الذي جاء به الفاتحون الأوائل.
- أنّ مدرسة ابن أبي زيد القيرواني تُعدّ نتاج تراكم لمجهودات فقهاء وعلماء المالكية بالمغرب الإسلامي، الذين ساهموا في انجلاء المذاهب والفرق المناوئة لهم، حيث أضافت هذه المدرسة أحكام جديدة في مجال المسائل العقديّة و الأحكام الفرعية فهي أحد العوامل التي ساهمت في إرساء دعائم المذهب المالكي ليعم ويسود وينال إجماع المغاربة .
- والجدير بالذّكر هنا أنّ مثل هذه المواضيع المذهبيّة أمر شاق وعسير، وبالرّغم من ذلك فقد بذلنا جهدنا واستفرغنا ما في وسعنا في حدود ما توفّر لنا من الوقت ليخرج البحث في حلّته هاته على أمل أن تكون نهاية كلّ عمل هو بداية لكلّ فكرة جديدة.
- فكلّ هذه الاستنتاجات التي توصّلنا إليها تجعلنا نطرح بعض التّساؤلات التي تحتاج إلى نقاش وبحث عميق، فرغم حسم الصّراع في بلاد المغرب في العصر الوسيط لصالح المذهب المالكي، إلاّ أنّنا نرى اليوم تولّد هذا الصّراع في طابع مخالف للصّراع التقليدي سابقا، فما سبب ذلك؟ ومن المسؤول الأوّل عنه؟ وكيف نستفيد من أسلافنا – علماء، فقهاء – في اخماد نار الفتنة من جديد؟

الملاحق

ملحق رقم (01):

جدول يمثل أهم المؤلفات في الرد على البدع والفرق المنحرفة خلال القرنين(3-4هـ)

الفترة الزمنية	المؤلفين	عناوين المؤلفات
القرن الثالث للهجرة	- محمد بن سحنون (256هـ/870م)	- "الحجة على القدرية". - "الرد على أهل البدع" - "رسالة في آداب المناظرة" - "الرد على الفكرية" -"الرد على الشافعي وأهل العراق" - "الإيمان والرد على أهل الشرك" - "الإمامة" - "تحريم المسكر" - "الإباحة" - "الأشربة"
	- عبد الله بن غافق التونسي(275هـ/888م).	- "ألف رسالة في الإيمان"
	- يحي بن عمر الكناني (281هـ/894م)	- "الرد على الشكوكية" - "الرد على المرجئة" - النظر إلى الله"
	-أبو عبد الله علي بن البجلي	- ألف كتاب"الرد على الشكوكية"
	-ابن أبي زيد القيرواني (286/899م)	- "المعرفة واليقين" - "كشف التلبيس" - "الرد على القدرية" - "مناقضة رسالة

		البغدادي المعتزلي"
		- "الإقتداء بأهل السنة" - "رسالة النهي عن الجدل" - "الإستظهار في الرد على الفكرية" - "تفسير أوقات الصلوات" -"فضل قيام رمضان" -"الذب عند مذهب مالك"
	- أبو جعفر المعافري (301هـ/913م)	- ألف كتاب "نسب الشيعة"
	- أبو إسحاق القلانسي(302هـ/9م)	- ألف كتاب "الإمامة"
	- ابن الحداد (302هـ/914م)	-ألف كتاب في خلق القرآن. - "الاستواء" - "المقالات"
القرن الرابع للهجرة	-عبد الرحمن القصري(322هـ/934م)	- ألف كتاب"تحديد الإيمان من شرائع الإسلام"
	- عبد الله بن أبي مسرور التجيبي ابن الحاج	- ألف كتاب "المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان"

	(346هـ/957م)	
	– ابن اللباد (333هـ/1012م)	– ألف كتب في الرد على الشيعة" - عصمة النبيين - " إثبات الحجة في بيان العصمة"
	أبـــو الحســـن القابســـي(403هـ/1012م)	ألف كتاب "المنقذ في شبه التأويل
	القاضي نعمان (363هـ/974م)	ألـف كتـب تخـدم المعتقـد الشعبي: – "دعائم الإسلام في ذكر الحـلال والحـرام والقضـايا والأحكام" –الهمة في آداب الأئمة – كتاب "الطهارة" – كتاب " كيفية الصلاة" – كتاب "الإقتصار" – "الإمامة لمولانا على بن أبى طالب

ملحق رقم (2):

جدول يمثّل ملخّص حول أهم التطوّرات السّياسّة التي ميّزت العلاقات بين العبيديّين والزّيريّين خلال القرن 4هـ/10م.

السّنة	الحدث
- 356هـ/975م	- بعث أبو الفتوح يوسف بلقين أمير إفريقيّة إلى العزيز بالله العبيدي الهديّة من رقادة ومعها المال.
- 374هـ/984م	- بعث أبو الفتح المنصور أمير إفريقيّة هديّة إلى مصر قيمة ما كان فيها من الأمتعة والدّواب والطرف ألف دينار عينا.
- 386هـ/996م	- عندما ولّي باديس بن المنصور أميرا على إفريقيّة أتته الخلع والعهد بالولاية من الحاكم بأمر الله من مصر، فقرئ العهد وبايع للحاكم هو وجماعة من بني عمّه والأعيان من القواد.
- 387هـ/997م	- كتب الحاكم بامر الله لأبي مناد باديس بن المنصور ثلاث سجلات الأوّل بولايته المغرب وتقليبه نصير الدّولة، والثاني بوفاة العزيز بالله وخلافة الحاكم بأمر الله والجواب عن وفاة المنصور، والثالث بأخذ العهد على باديس وجماعة من بني مناد للحاكم، ووصله أمير إفريقيّة بمال جليل وثياب وخيول.
- 403هـ/1012م	- وصل إلى المهديّة مركب فيه هديّة جليلة إلى الحاكم بأمر الله إلى نصير الدّولة باديس صاحب إفريقيّة، وصلت سجلات منه أيضا بإضافة برقة وعمّالها إليه.
- 405هـ/1014م	- أخرج نصير الدّولة هديّة جليلة إلى الحاكم بأمر الله.

- أنظر:المقريزي: المصدر السّابق، ج1، ص247 ؛ ابن عذاري: المصدر السّابق، ج1، ص240 ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص127.

ملحق رقم: 03.

- خريطة توضح انتشار المذاهب والفرق في بلاد المغرب الإسلامي - نهاية القرن 03هـ بداية القرن 04هـ / 9 - 10م.

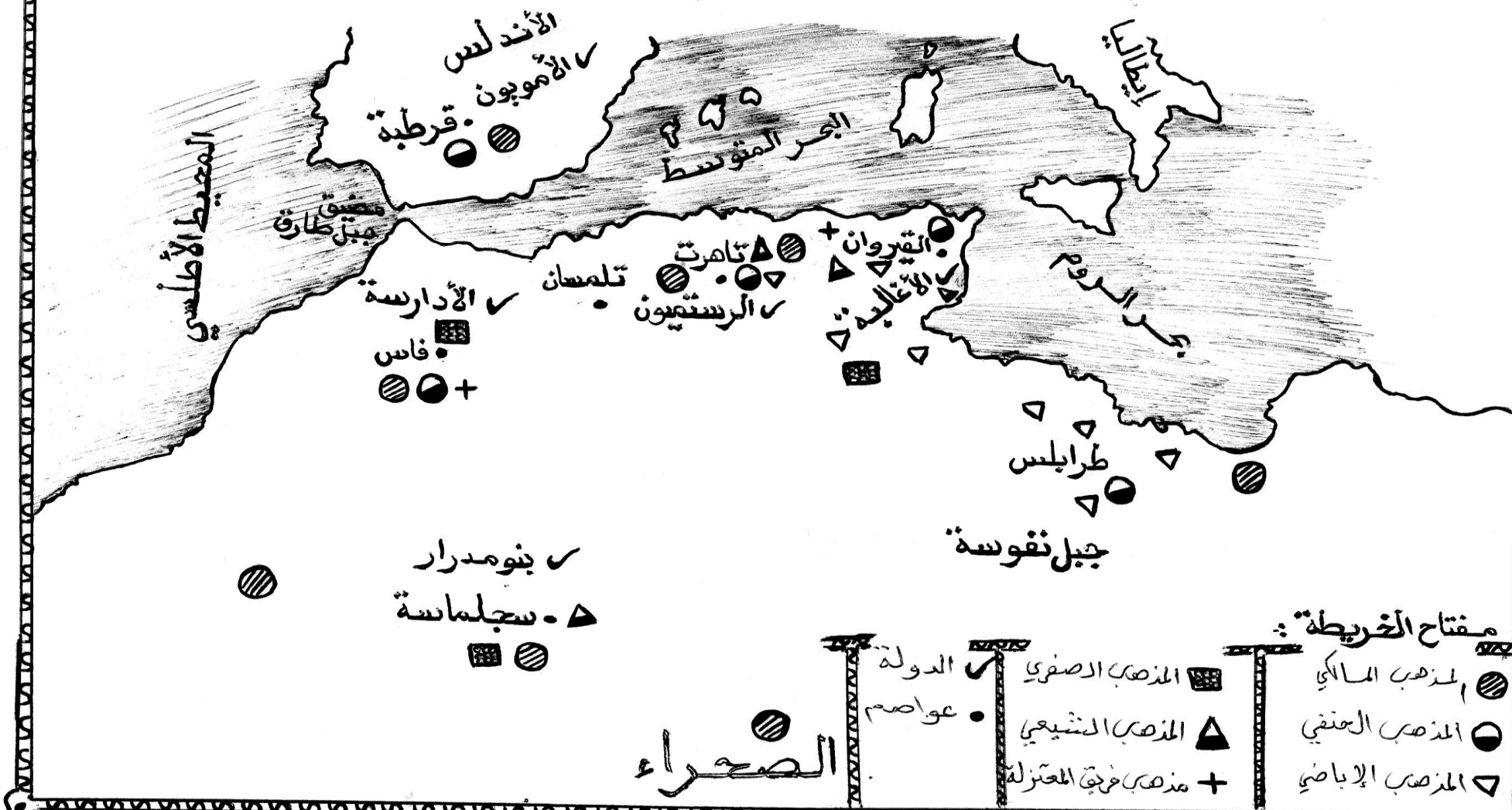

مقياس الرسم 1: 17500000 سم

قائمة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم:** برواية ورش عن نافع المدني، مكتبة دار السّلام للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 2008.

* **الحديث:**

* البخاري، محمد بن إسماعيل ابو عبد الله الجعفي(ت206هـ/870م): **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق للنجاة، دمشق،1422هـ

* الترمذي، محمد عيسى بن سورة بن موسى: **سنن التّرمذي**، ج5، تحقيق:.أحمد محمد شاكر، شركة مطبعة المصطفى،(د.م)، 1975.

- **قائمة المصادر:**

1- ابن الأبار، أبو عبد الله (ت658هـ/1259م): **الحلة السّيراء** ، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1958.

2- ابن الأثير، أبي الحسن على بن محمد(ت630هـ/1232م): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار الكتب العلمية،(د.م)،(د.ت).

3 ـــــــ: **الكامل في التاريخ**، مج6، مراجعة: محمد يوسف الدّقاق، دار الكتب العلمية،لبنان،1987.

4- ابن تيمية أبي العباس تقي الدين(ت728هـ/1327م): **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية** ، تحقيق: محمد رشاد سالم،(د.ن)،(د.م)، 1996.

5- ابن حزم، أبو محمّد بن علي(ت456هـ/1064م): **الفصل في الملل والأهواء والنّحل**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر دار الجليل، ط2، بيروت،1996.

6- ابن حماد الصّنهاجي (ت268هـ/1231م): **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

7- ابن حوقل، أبي القاسم (ت267هـ/977م): **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996.

8- ابن خلدون، عبد الرحمان (ت808هـ/1405م): **العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2000.

9- ابن خلكان، أبي العبّاس شمس الدّين (ت681هـ/1283م): **وفيات الأعيان** ، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

10- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: **جمهرة اللغة**،ج2، تحقيق: منير بعلبكي، دار العلم للملايين،(د.م)،1987.

11- ابن الصغير المالكي: **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق: محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

12- ابن عبد البر، الحافظ أبي عمر يوسف(ت463هـ/1084م): **التّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ، تحقيق: سعيد محمد أعراب، (د.ت).

13- ابن عبد الحكم ،أبي القاسم عبد الرحمان (ت214هـ/829م): **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق: محمد صبيح (د.ن)، القاهرة، (د.ت).

14- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس محمد(ت712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت،1967.

15- ابن غلبون، الطرابلسي(ت1145هـ/1732م): **التّذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من أخبار**، تحقيق: الطّاهر أحمد الزّاوي، المطبعة السلفية، القاهرة،1349.

16- ابن فرحون، بن نور الدين (799هـ/ 1396م): **الدّيباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب**، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت،1996.

17- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد (ت403هـ/1012م): **تاريخ علماء الأندلس**، ج1، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، تونس،2007.

18- ابن القيم الجوزية (ت751هـ/1349م): **مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، تحقيق: حسان عبد المنان الطبي، دار الجيل، بيروت،1994.

19- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (ت711هـ/1311م): **لسان العرب** ،دار صادر، بيروت ،(د .ت).

20- ابن وردان (ت117هـ/735م): **تاريخ مملكة الأغالبة**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988.

21- أبو زكرياء الورجلاني، يحي بن أبي بكر(ت471هـ/1078م): **سير الأئمة الرستميين وأخبارهم**، تحقيق: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر،1984.

22- أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم (ت333هـ/944م): **طبقات علماء تونس**، دار الكتاب البياني، بيروت، (د.ت).

23- أحمد بن أبي الضياف(ت1291هـ/1874م): **إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ، تحقيق: لجنة من الكتابة الدّولة، الشؤون الثقافية والأنبار، تونس،1963.

24- إدريس، عماد الدّين: **تاريخ الخلفاء الفاطميّين**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1985.

25- الباروني، سليمان باشا(ت1359هـ/1940م): **الأزهار الرّياضيّة في أئمة ملوك الإباضية**، مطبعة الأزهار البارونية،(د.م)،(د.ت).

26- البغدادي، أبي المنصور عبد القاهر(ت429هـ/1037م): **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة،(د.ت).

27- البغطوري، مقرين بن محمد (ت196هـ/812م): **سير مشائخ نفوسة**، تحقيق: توفيق عياد الشقروني، مؤسسة تالوت الثقافية، 2009.

28- الجزنائي: **كتاب زهرة الأس في بناء مدينة فاس**، نشر: ألفرد بك،(د.ن)، الجزائر،1922.

29- الجوزي عبد الرحمن(ت597هـ/1200م): **المنتظم في تاريخ ملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبد القادر عطار وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت،1992.

30- الجوهري، إسماعيل بن حماد (363هـ/1003م): **الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت ، 1990.

31- الحموي، ياقوت شهاب الدّين أبي عبد الله(ت626هـ/1229م): **معجم البلدان** ، دار صادر، بيروت،1977.

32- الخشني، محمد بن الحارث (ت361هـ/972م): **طبقات علماء إفريقية**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993.

33- الدّباغ، أبو زيد عبد الرحمان (ت699هـ/1300م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي، مصر،1986.

34- الدّرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ/1271م): **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق: ابراهيم طلائي،(د.ن)،(د.م)، 1974.

35- الدّمشقي، ابن عماد شهاب الدّين (ت1089هـ/1687م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت،1989.

36- الذهبي، شمس الدّين أحمد بن عثمان (ت748هـ/1374م): **التهذيب لسير اعلام النبلاء** ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ،بيروت،1991.

37ـــــ: **ميزان الإعتدال في نقد الرجال** ، تحيق: محمد بركات، دار الرسالة العلمية،2009.

38 ـــــ: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت،1992.

39- الرّازي ، محمد بن أبي بكر(ت311هـ/ 923م): **مختار الصّحاح** ، تحقيق : مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر،1990.

40- الرقيق القيرواني (ت423هـ/1031م): **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1994.

41- الزّركلي خير الدين (ت1396هـ/1976م): **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ، دار العلم للملايين، بيروت،2002.

42- السّلاوي أحمد ابن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م): **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب،1954.

43- الشّريف الرّضي(406هـ/1015م): **نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب**، تحقيق: صبحي الصيالح،(د.م)،(د.ت).

44- الشّاطبي، أبي إسحاق إبراهيم ابن موسى(ت790هـ/1388م) :**الإعتصام** ، تحقيق، ابن حسن أبو عبيدة مشهور ، مكتبة التوحيد،(د.م)،(د.ت).

45- الشّماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد(ت928هـ/ 1521م):**السّير** ، تحقيق: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009.

46- الشّهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م): **الملل والنحل** ، تحقيق: أمير علي مهنا، دار المعرفة ، بيروت، 1993.

47- الشّيرازي ابي اسحاق الشافعي(ت476هـ/1083م): **طبقات الفقهاء** ، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ، لبنان، (د،ت).

48 ـــ **كتاب المحن**، تحقيق: يحيى وهيب الحيوري، دار الغرب الاسلامي، ط3، بيروت،2006.

49- القاضي العياض، أبو الفضل بن موسى(ت544هـ/1149م): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أصحاب الإمام مالك**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983.

50 ـــــ: **تراجم أغلبية**، تحقيق: محمد الطالبي، الجامعة التّونسية، تونس، 1968.

51- القاضي النّعمان (ت363هـ/974م): **افتتاح الدّعوة**، تحقيق: فرحات الدّشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر،1976.

52- الطّبري، بن جرير أبي جعفر(ت310هـ/922م): **صحيح وضعيف الطّبري** ، تحقيق: محمد بن طاهر البرزجي، دار ابن الكثير، بيروت ،2007.

53 ـــــ: **تاريخ الأمم والملوك** ، دار الكتب العلمية، لبنان،2003.

54- اللّالكائي، الحافظ أبي القاسم (418هـ/1027م): **شرح أصول اعتقاد أهل السّنة والجماعة**، دار البصيرة، الإسكندرية،(د.ت).

55- المقدسي شمس الدّين (.ت338هـ/949م): **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، مطبعة برلين، لندن ،1906.

56- المقريزي، تقي الدّين أحمد بن علي(ت766هـ/1364م): **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين** ، تحقيق: جمال الدّين شيال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948.

57 ـــــ: **المقفى الكبير تراجم أغلبية ومشرقية من الفترة العبيدية**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت،1987.

58- المالكي، أبي بكر بن عبد الله (ت484هـ/1091م): **رياض النفوس** ، تحقيق: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

59- مؤلف مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دارالنشر الثقافية، بغداد، (د.ت).

60- مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم**، تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1989.

61- الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى (ت914هـ/ 1508م): **المعيار المعرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب** ، أخرجه جماعة الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط،1981.

62- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت292هـ/ 905م): **البلدان**،(د.ن)،(د.م)،1891.

-قائمة المراجع باللّغة العربية:

63- اسماعيل سلمى محمود: **الصّراع الاثني والمذهبي في المغرب الأقصى**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،2009.

64- اسماعيل محمود: **الأغالبة(184-196هـ) سياستهم الخارجية**، عين الدّراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط3، القاهرة، 2000.

65- بن هداية علي وآخرون : **القاموس الجديد للطّلاّب**، تقديم: محمود السّعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، الجزائر، 1991.

66- ابن عثيمين، محمد بن صالح(1461هـ/1999م): **عقيدة أهل السنة والجماعة**، مؤسسة الشيخ بن صالح العثيمين الخيرية، ط2، الرياض،1929.

6- 7 تامر عارف: **القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج**، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1982.

6-8 التّهامي ابراهيم التهامي: **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسال، بيروت، 2005.

69- الجلالي عبد الرحمن: **تاريخ الجزائر العام** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

70- الحريري محمد بن عيسى: **الدولة الرستمية بالمغرب اللإسلامي حظارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس**، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، الكويت، 1987.

71-حسن إبراهيم حسن: **عبد الله المهدي إمام الشيعة الاسماعلية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1947.

72 ـــــــ: **تاريخ الإسلام السياسي، الديني، الثقافي، الإجتماعي**، دار الجليل، القاهرة، 1957.

73- الخربوطي حسن علي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، (د.م)، 1972.

74- الخطيب عبد الكريم: **المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسائل، بيروت ،1996.

75- الدّشراوي فرحات: **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، دار العرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1990.

76- رستم سعد: **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، النّشأة، التّاريخ، العقيدة، التوزيع الجغرافي**، الأوائل للنشر والتوزيع للخدمات الطباعية، ط3، (د،م)، 2004.

77- سعدون عباس نصر الله: **دولة الأدارسة في المغرب** ، دار النهضة العربية، ط1، بيروت،1987.

78- سامعي إسماعيل: **دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية الثقافية في بلاد المغرب الاسلامي**، دار الهدى، الجزائر،2006.

79- سليمان بن الحاج داود بن يوسف: **ثورة أبي يزيد لإعلاء كلمة الله**، دار البعث ، ط1، قسنطينة، 1981.

80- الشواط الحسن بن محمد: **مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الاسلامي الى منتصف القرن الخامس الهجري**، الدار العلمية للكتاب الاسلامي، الرياض، 1411هـ.

81- الصّلابي محمد علي: **الصراع بين أهل السنة والرافضة**، مكتبة التابعين، القاهرة، 2007.

82- عبد الرزّاق اسماعيل محمود: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري**، دار الثقافة، ط2، المغرب، 1985.

83-العروي، عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب** ، المركز الثقافي العربي، ط5، الدّار البيضاء، 1996.

84- علوي حسن حافظي: **الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط**، مراجعات حول الصّراع السّني الإباضي ببلاد المغرب، سلسلة ندوات ومناظرات رقم157، ط1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، الرّباط، 2008.

85-غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 2005.

86- الفيلالي عبد العزيز: **العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الاندلس ودول المغرب**، الشّركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1972.

87- الكبير خالد علال: **التّعصّب المذهبي في التّاريخ الإسلامي مظاهره، آثاره أسبابه، علاجه**، مؤسسة كنوز الجزائر، 2009.

88- لقبال موسى: **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة، الجزائر، 2002.

89-ـــ **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

90- المتقي عبد المنعم: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب**، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999.

91- المجدوب عبد العزيز: **الصّراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2008.

92- محمود علي المكّي: **التّشيّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدّولة الأمويّة**، مكتبة الثقافة الدنية، ط1، القاهرة، 2004.

93- مرمول محمد الصالح: **السّياسة الداخلية للخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات، الجزائر،1983.

94- المزهودي مسعود: جبل **نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب**، مؤسسة تاولات الثقافية، الجزائر،2003.

95- مصطفى مسعد سامية: **العلاقات بين المغرب والاندلس في عصر الخلافة الأموية**، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، (د.م)، 2000.

96- الهنتاتي نجم الدين: **المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن5هـ/11م**، منشورات خير الزمان، تونس،2004.

97- وشن مزيان: **الرّسالة مختصر الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني 4هـ/10م**، دار النشر جيطلي، برج بوعريريج، الجزائر، 2009.

قائمةالرسائل والأطروحات :

98- نوار نسيم: النزاع السني الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي من قيام الدولة الفاطمية إلى القطيعة الزيرية (296-443هـ/909-1051م)، رسالة ماجستير، جامعة بوزريعة، قسم التاريخ، الجزائر،2010-2011.

99- مواس نورة: العلاقات الخارجية للأغالبة (124-296هـ)، جامعة الجزائر، قسم التاريخ،2008- 2009م.

قائمة الدوريات والمجلات :

100- مجاني بوبة: **أثر الضرائب في ثوابت ومتغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية**، مجلة الدراسات التارخية، دمشق، العدد67 و68، كانون الثاني،1999.

101- موسى عز الدين: **طريق عبر الصحراء اللّيبية**، مجلة البحوث التارخية، العدد الأول، يناير،1973.

قائمة المراجع الاجنبية المعربّة :

102- بل، ألفرد: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1987.

103- الهادي روجي ادريس: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في العهد الزيري من ق 11 إلى 20**، ترجمة: حمادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي،ط3، بيروت ، 1992.

قائمة المراجع الاجنبية :

104- b.lewis "abasids", Eincyclopedie de l'islam, T1, nelle'ed, 1960.

105-Marcais,G: la Berberie Musulmane et l'orient au moyen age, paris, 1946.

106 -Marcais(g):l'afrique dy nord française dans l'histoire,paris,1937.

الفهارس

- فهرس الآيات والأحاديث.
- فهرس المذاهب والفرق.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية:

بداية الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيسِرِ قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِير.....)	البقرة	219	52
(يَاأَيُّهَا الذِين آمَنُوا مَنْ يَرْتَد مَنْكُم عَن دِينِه فَسَوْفَ يَأتِي الله بَقَوْم يُحَبّهُم وَيُحَبّونَه....)	المائدة	54	84
(وَعِندَه مَفَاتِيحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلمُهَا إِلاّ هُوَ.....)	الأنعام	59	65
(يَاأيّهَا الذِينَ آمَنُوا قَاتَلوا الذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفّار....)	التّوبة	18	74
إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأخُوهُ أحبُّ إِلَى أَبينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ.....)	يوسف	8	10
(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبّكَ بِالحِكْمَة وَالمَوْعِظَة الحَسَنَة.....)	النّحل	125	51
(سُنّة مَنْ قَد ارْسَلْنا قَبْلَكَ مِن رُسُلنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنّةِ الله تَحْوِيلاً.....)	الإسراء	77	15
(لَا يَأتِيهِ البَاطِل مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِن حَكِيم حَمِيد.....)	فُصّلت	42	63
(سَخّرَهَا عَلَيْهِم سَبْع لَيَالٍ وَثمَانِية أَيّام حُسُومًا فَتَرَى القَوْم فِيهَا صَرْعَى.....)	الحاقّة	07	11
(وَرَهْبَانِية ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم إِلاّ ابتِغَاءَ رِضْوَانِ الله رَعَوْهَا...)	الحديد	27	76

فهرس الأحاديث

رقم الحديث	الحديث	الصفحة
01	- قال الرّسول عليه الصلاة والسلام:" ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة الناجية منها واحدة و الباقون هلكى قيل : ومن النّاجية؟ قال: أهل السّنة و الجماعة قيل: ما السّنة و الجماعة؟ قال :ما أنا عليه و أصحابي" أخرجه الترمذي"	15
02	– قال صلى الله عليه وسلم: «إِنّهُم وَكُلُّ الحَرُورِيَّة أَي الذِينَ خَرَجُوا إِلَى حروراء ثُمّ إِلَى النَّهْرَوَان، مِن أُمَّة الدَّعْوَى، لاَ مِنْ أُمَّة الإِجَابَة وَأنّ أُمّة الدّعْوَى تَشْمُل كُلَّ مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ الرَّسُول صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمْ مِنْ إِنْسٍ وَجَان، أَجَابَ أَم لَم يُجِب، والثَّانِية خَاصَّة بمُسْتحقِّ الشَّفاعَة والدُّخُول إِلَى الجنَّة"	45
03	– عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله السارق يسرق البيضة فتُقطع يده ويسرق الحبل فتُقطع يده" رواه البخاري ومسلم	46
04	– عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: نَزَلَ تحريمُ الخمرِ يَومَ نَزَلَ وهي مِن خمسةٍ: مِنَ العِنَبِ، والتمْرِ، والعَسَلِ، والحِنْطَةِ والشَّعير،	52

	والخمرُ ما خَامَرَ العَقْلَ" رواه البخاري.	
05	_عن محمّد بن عبد الله يرفعه إلى النّبي صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: "يكون في آخر الزمان قوم يسمُّون الرافضة فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنّهم كفاره فلمّا تم الحديث كثر الناس وارتفعت أصواتهم ثمَّ خرجوا".	74
06	ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنّ كلّ بدعة ضلالة".	75
07	قال الرسول عليه الصلاة والسلام لما سئل من أشدُّ النّاس بلاءاً؟ فقال:<< الأنبياءُ ثم الأمثلُ، فالأمثلُ، يُبتلى الرّجُلُ على حسب دينهُ، فإن كان في دينه صلابةُ زيد في بلائهِ وإن كان في دينهِ رَقّة خففت عنهُ، وما يزالُ البلاءُ بالعبدِ حتى يمشي على الأرض وماله من خطيئة".	77

فهرس المذاهب والفرق:

المذاهب والفرق	الصفحة
_الإباضية	20-81، 21، 22، 24، 25، 26، 27، 28 35، 42، 46، 49، 50، 69، 70.
-الإثناعشرية	12-.
-الأجهمية	14-.
-الأحناف	15، 17، 49، 50، 51، 52، 66، 57، 59، 60، 61، 67، 71، 72، 73، 79، 73، 80. 81.
-الأزارقة	17-.
-الإسماعلية	20- ،63، 64، 68، 71، 75، 78، 81.
-الخوارج	13_، 17، 37، 43، 44، 45، 46، 52، 63، 73، 74، 75، 81.
-الرافضة	15-.
-الشيعة	13-، 19، 35، 41، 60، 63، 66، 76، 74، 81.
-الصفرية	17-، 18، 34، 50.
-المالكية	15، 17، 49، 50، 51، 52، 54، 55، 57، 58، 60، 61، 62، 71، 72، 76، 97، 80، 82.
-المعتزلة	50-، 57، 52، 60.
-النجدات	17-.
-النكارية	83-، 70.
-الوهبية	45.-
-أهل السنة	13-، 14، 37، 43، 45، 52، 63، 70، 77، 75، 76، 81.

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
– أ–	
– ابراهيم الأصغر	– 62،35
– ابراهيم ابن الأغلب	–54,31,30,17
– ابن أبي جواد	–56
– ابن أبي زيد القيرواني	– 78;75
– ابن الأشج	– 53
– ابن أبي الحواجب	– 58،57
– ابن البردون	– 67
– ابن حبيب	– 48
– ابن حوقل	– 35
– ابن طالب القاضي المالكي	– 81،77،64
– ابن عبدون	– 63،62
– ابن عثيمين	–11
– ابن عبد الرّحمان	– 74
– ابن عذاري	– 69،65،40
– ابن منظور	– 9
– ابن هذيل	– 65
– أبو اسحاق الجبنّائي	– 75
– أبو اسحاق القلانسي	– 78
– أبو بشير محمّد يونس السوسي	– 73
– أبو بكر الباقلاني	– 40
– أبو بكر الصّدّيق	– 13،12
– أبو بكر اللّبّاد	– 67
– أبو تمام بن معارك الأجاني	– 35
– أبو حامد الغزالي	– 46
– أبو الخطاب بن الأعلى المعافري	– 25

- أبو سعيد الرازي - **53،42**
- أبو سلمان النّحوي - **63**
- أبو زكرياء الورجلاني - **39,33**
- أبو القاسم السّيوري - **46**
- أبو القاسم الفرزاي - **78**
- أبو العباس الشيعي - **76**
- أبو عبد الله بن العبّاس - **67**
- أبو عبد الله الشيعي - **69,68,20**
- أبو عبد الله محمّد بن بسطام - **37**
- أبو العرب - **78**
- أبو عثمان سعد بن الحدّاد - **74،77،64**
- أبو محرز القاضي الحنفي - **62**
- أبو مدين ابن فروخ اللّهيفي - **71**
- أبو محمّد بن التّبان - **76،67**
- أبو مظفر الإسفراييني - **45**
- أبو هريرة - **64**
- أبو يوسف حلبة بن محمود - **40**
- أبي حنيفة النعمان - **60،17**
- أبي خزر يعلى بن زلتان - **34**
- أبي القاسم البراذعي - **67**
- أبي المقارع - **61**
- أبي يزيد الخارجي - **65،35،34 ،33،31**
- أحمد بن أبي محرز - **48**
- أحمد بن ناصر الهواري - **68**
- أسد بن الفرات - **10**
- اسماعيل جعفر الصّادق - **14**
- اسماعيل المنصور - **31**
- اسماعيل بن عبد الله - **46**
- أفلح بن العباس

- اسحاق السّبائي	- 32
	- 73
	- ب-
- الباروني	- 32
- البهلول بن راشد	-17,16
	- ج-
- جعفر الصّادق	-21,20
- الجعفري	- 63
- جوهر الصّقلّي	- 72
	- ح-
- حباسة	- 71
	- خ-
- خفاجة العبسي	-71،67
	- د-
- الدّرجيني	-32
	- ز-
- زياد بن الأصفر	-18
- زيادة الله الثالث	-68-69
	- س-
- السحنون	-58،57،56،55،17
- سعد بن عبادة	-12
- سلمة بن سعد	- 19
- سليمان بن عمران	-62،58،57،55،53
	- ش-
- شبيب القمّودي	-75,68
- الشّمّاخي	-31
	- ع-

- عاصم بن جميل -25
- العباس بن عبد المطّلب - 82
- العباس المأمون - 54
- عبد الرّحمان بن رستم - 34،25
- عبد الرّحمان بن عفقبة بن نافع - 29
- عبد الله بن الاغلب -36
- عبد الله بن إباض -18
- عبد الله بن علي بن أحمد الحلواني -21،20
- عبد الله بن فرّوخ -17،16
- عبد الله المروزي -82
- عبد الله بن مسعود -60
- عبد الله بن ملجم -13
- عبد الله الناصر -69
- عبيد الله المهدي -72،71،70،67،65،40،36،35
- عبد الوهّاب بن عبد الرحمان بن رستم -47،40،33،26
- عثمان بن عفّان -20،13
- عكرمة بن عبد الله -19
- علي بن أبي طالب -70،45،20،13
- علي بن زياد -55،17،16
- عمر بن الخطّاب -77

- ق-

- القائم بأمر الله -41،40،37

- ل-

- اللالكائي - 9

- م-

– مالك بن أنس	**23**–
– مبارك السّجلماسي اللّمطي	**45**–
– المتوكّل بالله	**52**–
– محمّد ابن الأغلب	**59**–
– محمّد ابن اسماعيل	**21**–
– محمّد بن عمر المروزي	**70**–
– محمّد بن سحنون	**63،60،57**–
– محمّد بن طالوت	**37**–
– المستنصر بالله	**70**–
– معاوية بن أبي سفيان	**13**–
– المعز لدين الله	**82،42**–
– منصور أبي إلياس	**33**–
– ميسرة المدغري	**23**–
– ن–	
– نافع بن الأزرق	**18**–
– نجدة بن عامر	**18**–
– هـ–	
– هارون الرّشيد	**17**–
– هارون الهواري	**35**–
– و–	
– الونشريسي	**47**–

فهرس المجموعات "الأماكن،القبائل"

الأماكن	الصفحة
– أ–	
– أجدابية	– 70.
– الأربس	– 68،69.
– إفريقية	– 17،24،26،28،29،31،32،37،38، 40،42،43،44،50،57،66،67،69،70، 71،78،81،82.
– الأندلس	– 21،60،78،79،80.
– الأوراس	– 39،44.
– ب–	
– البتر	– 38.
– برقة	– 63،64.
– البرانس	– 39.
– بقدورة	– 29،49.
– باجة	– 40.
– بلزمة	– 27،68.
– ت–	
– تونس	– 40.
– تيهرت	– 29،31،33،34،47.
– ج–	
– الجريد	– 27.
– جوية	– 31.
– ر–	
– رقادة	– 37،68،69.

– ز –	
– الزاب	– 27،40.
– زناته	– 29،36،39،70،60.
– الزهراء	– 80.
– زواغة	– 27.
– س –	
– سجلماسة	– 29،64.
– سدراة	– 39.
– سرت	– 70.
– سوف جمار	– 20.
– ص –	
– صفين	– 14 .
– صقلية	– 29،30،70،71،81.
– ط –	
– طرابلس	– 26،27،30،31،32،36،37،70،70.
– ف –	
– فحص الأبيض	– 29.
– ق –	
– قرطبة	– 80.
– قرطاجة	– 68.
– قسطيلية	– 27،38.
– قابس	– 31،32،37.
– القيروان	– 21
	25،27،31،40،41،57،64،13،68.
– ك –	
– كتامة	– 20،21،37،42،69،70،71.
– الكوفة	– 17.
– كينونة	– 68.

- ل-	
- لماية	**- 70.**
- لواته	**- 27.**
- م-	
- مرمجنة	**- 20.**
- المشرق	**- 19،23،32،50،51،60،67،78.**
- مصر	**- 31،69،70،81.**
- المغرب الأقصى	**- 21،36،80**
- المغرب الأوسط	**- 21،36،38،80.**
- المغرب	**- 16**
- المهدية	**17،19،20،21،22،25،28،39،36،** **38،43،46،48،51،52،53،67،68،78.** **- 47،49،72،78،79**
- ن-	
- نفوسة	**- 27،30،31،32،33،34،36،37.**
- النهروان	**- 14،18،46.**
-هـ-	
- هوارة	**- 26،27،30،31.**

فهرس الموضوعات

المحـــتوى	الصفحة
البسملة	
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدّمـــــــة	أ- ز
الفصـل التمهيـدي: الصّـراع المـذهبي وبـدايات ظهـوره فـي التـاريخ االإسلامي	8- 21
أولا - تعريف الصراع المذهبي	9-11
1- تعريف التّعصّب	9-10
2- تعريف الصّراع	10-11
3- تعريف المذهب	11
ثانيا : الجذور الأولى للصراع المذهبي في المشرق	12-14
ثالثا :انتشار المذاهب والفرق في بلاد المغرب الإسلامي	15-21
1 - أهل السّنّة والجماعة	15-16
1-1: المذهب المالكي	16-17
1-2: المذهب الحنف	17-18
2- الخوارج	18-19
2-1: الفرقة الصّفريّة	18
2-2: الفرقة الإباضيّة	18
3- الشّيعة	20-21
3-1 الشّيعة الإسماعيليّة	21
الفصل الأول : صراع الإباضية ضد مخالفيهم في المذهب	22- 48
أولا : صراعهم مع أهل السنة.	23-34
1- أسباب الصّراع الإباضي السّنّي	24-28
2- مظاهر الصّراع الإباضي السّنّي	28-33
2-1: حصار طرابلس	29-31
2-2: موقعة مانو	31-33

فهرس الموضوعات

3- آثار الصّراع وانعكاساته على المجتمع المغربي	40-33
ثانيا : صراعهم مع الشيعة	43-35
1- أسباب الصّراع الإباضي الشّيعي	35
2- مظاهر الصّراع الإباضي الشّيعي	42-35
1.2- ثورة أبي يزيد الخارجي	42-37
3- آثار الصّراع وانعكاساته على المجتمع المغربي	43-42
ثالثا: موقف علماء أهل السنة من الإباضية	48-43
1- الفتوى والدّروس والتّأليف	47-42
2- المشاركة في الحروب	48-47
الفصل الثاني: صراع المالكيّة ضد مخالفيهم في المذهب	82-49
أولا: صراعهم مع الأحناف	63-51
1- أسباب الصّراع بين الملكيّة والأحناف	58- 51
1.1- الأسباب الفقهية	53-52
2.1- الأسباب السّياسيّة	58-53
2- مظاهر الصّراع بين المالكيّة والأحناف	61-58
1.2- المظاهر السّياسيّة	59-58
2.2- المظاهر الفكريّة	61-59
1.2.2- المجالس والمناظرات	61-60
2.2.2- انتشار حركة التّأليف	62
3- نماذج من الجدل والمناظرات بين المالكيّة والأحناف	63-62
ثانيا- صراعهم مع الشيعة	80-64
1- أسباب الصّراع بين المالكيّة والشّيعة	67-64
2- مظاهر الصّراع بين المالكيّة والشّيعة	67
1.2- المظاهر السّياسيّة	72-67
1.1.2- الدّولة العبيديّة والنّزعة التّوسّعيّة	71-67
2.1.2- تحالف أهل السّنّة مع ثورة أبي يزيد	72-71
2.2- المظاهر الفكريّة	78-72
1.2.2- الإفتاء في مقاطعة بني عبيد ومحاربتهم	75-72

فهرس الموضوعات

2.2.2- المجالس والمناظرات	77-75
3.2.2- التّاليف والشّعر	78-77
3- النّزاع الأموي العبيدي	80-78
ثالثا: حسم الصراع وتجديد المذهب المالكي	82-81
خاتـــمة	85-83
الملاحق	91-86
المصادر والمراجع	102-92
فهرس الآيات والأحاديث	106-103
فهرس المذاهب والفرق	107
فهرس الأعلام	112-810
فهرس الاماكن	115-112
فهرس الموضوعات	118 -116

تم بحمد الله
تم بحمد الله
تم بحمد الله